

إِنِّي

أَنْسَتْ جَنَانِي لِمَلِيَّ

أَتِيكَ مِنْهَا بِقَبَسٍ

خواطر

مروان محمد

# دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني

نوع العمل: خواطر نثرية

اسم العمل: إني آنست جناني

اسم المؤلف: مروان محمد

الناشر: حروف منثورة للنشر الإلكتروني

الطبعة: الأولى أكتوبر ٢٠١٨

تصميم الغلاف : مروان محمد

تنسيق داخلي: مروان محمد

تدقيق لغوي: ياسر فتحي السيد



للنشر الإلكتروني

مؤسس الدار

مروان محمد

Website: <https://horofpdf.wixsite.com/ebook>

Fan page: <http://facebook.com/herufmansoura>

Email: [herufmansoura2011@gmail.com](mailto:herufmansoura2011@gmail.com)

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الإلكتروني المجاني ولا تتحمل أي مسؤولية اتجاه المحتوى الذي يتحمل مسؤوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

خواطر

# إِنِّي أَنَسْتُ جَنَائِي

لِعَلِّي آتِيكَ مِنْهَا بِقَبَسٍ

مروان محمد

(١)

لَنْ أُبَحِّثَ عَنْكَ بَيْنَ الْوُجُوهِ، لَسْتُ أَنَا مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

لَنْ أَتَصَوَّرَكَ كَفَرَّاشَةٍ مُلَوَّنَةٍ تَسْبَحُ فِي هَوَاءٍ غُرْفَتِي، تُدْعِدُّ مَشَاعِرِي  
الَّتِي أَغْرَقَهَا الْحُزْنُ، صَدِّقْنِي لَا أَعْرِفُ حَتَّى كَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ؟!

سَأَشْرَبُ قَهْوَتِي كُلَّ صَبَاحٍ وَأُدْخِنُ سِجَارَتِي بِبُطْءٍ شَدِيدٍ، سَأَقِفُ فِي  
شُرْفَتِي، أَطَالِعُ وَجْوهَ الْمَارَّةِ وَسَتَضْرِبُ مُخِيلَتِي صُورُ لَكَ كَرَصَاصَاتٍ  
سَرِيعَةٍ الطَّلَقَاتِ، ثُمَّ سَتَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى كَوْرِيَقَاتٍ مُحْتَرِقَةٍ بِأَطْرَافٍ  
مُتَوَهِّجَةٍ سُرْعَانَ مَا سَتَخْبُو.

سَأَبْتَلِعُ مَعَ كُلِّ رَشْفَةٍ بَسْمَةً مِنْ ابْتِسَامَاتِكَ، سَأَنْفُضُ مَعَ رَمَادِ سِجَارَتِي  
فِي كُلِّ مَرَّةٍ ضِحْكَةً مِنْ ضِحْكَاتِكَ، سَأَسْحَقُ وَهَجَ السَّيَّجَارَةِ وَقَدْ شَارَفْتُ  
عَلَى نَهَايَتِهَا تَحْتَ قَدَمَيَّ وَأَسْحَقُ مَعَهَا عَيْنَيْكَ الْبَرَّاقَتَيْنِ الْفَرِحَتَيْنِ  
دَائِمًا.

لَنْ أَتَهَرَّبُ مِنْ حُزْنِي، لِيَتَلَذَّذَ بِمُطَارِدَتِي، وَلَكِنِّي سَأَدْعُوهُ لِلْجُلُوسِ  
أَمَامِي حَتَّى أَسْخَرَ مِنْهُ، سَأَجْعَلُ حُزْنِي يَضْحَكُ مِنْ فَرْطِ سُخْرِيَّتِي مِنْهُ،



سَأَسْتَمِعُ لِفَيْرُوزَ مَعَ قَهْوَتِي كَمَا إِعْتَدْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ فِي حُضُورِكَ لَيْسَ  
لِأَتَذَكَّرَ تِلْكَ الْأَيَّامَ وَلَكِنْ لِأَنِّي أَحِبُّ فَيْرُوزَ فَقَطْ.

سَأَتْرُكُ طَيِّفَكَ خَارِجَ سَيَّارَتِي وَأَتَّخِذُ مُقْعَدِي خَلْفَ الْمِقْوَدِ بِهُدُوءٍ،  
سَأَبْتَسِمُ لَكَ ابْتِسَامَةً جَرَدْتُهَا مِنْ ثَوْبِ الْمَشَاعِرِ، سَتَكُونُ ابْتِسَامَةً بَارِدَةً  
لَا تَحْمِلُ شَمَاتَةً أَوْ كَرَاهِيَةً أَوْ حَنِينًا، سَأَتَحَرَّكَ بِالسَّيَّارَةِ عَلَى وَقْعِ  
نَعْمَاتٍ هَادِنَةٍ، مَتَطَلِّعًا لَوَجْهِهِ فِي الْمِرَاةِ، سَأَلْمَحُ الْحُزْنَ فِي عَيْنِي  
وَسَأَضْحَكُ مِنْ ذَلِكَ سَاخِرًا..

لَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَقْعَدِكَ الْخَالِي بِجَوَارِي لِأَهْدِدَ فِيهِ مَشَاعِرَ مُتَأَجِّجَةً،  
سَأَضَعُ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ يَدِي الْيُمْنَى عَلَى مَقْعَدِكَ الْخَالِي لِأُرِيحَ جَانِبِي الْأَيْمَنَ  
وَأَنَا أَقْوَدُ السَّيَّارَةَ بِيُسْرَايَ فِي خِيَلَاءِ.

لِرُبَّمَا سَيُصَاحِبُنِي وَجْهُكَ لِأَوْقَاتٍ كَثِيرَةٍ وَلَكِنَّهَا سَتَمُضِي سَرِيعًا لِأَنِّي  
سَأَكُونُ مَشْغُولًا عَنْهَا بِأَفْكَارٍ حَمَقَاءَ وَالْكَثِيرُ مِنَ النَّكَاتِ السَّخِيفَةِ  
الْمُضْحِكَةِ، لَنْ أَبْكِي فِرَاقَكَ فِي الْخَفَاءِ وَلَنْ أُلْقِيَ بِحِكَايَاتِكَ عَلَى طَاوِلَةِ





أَصْدِقَائِي، وَلَنْ أَتَظَاهَرَ بِنِسْيَانِكَ لِأَنِّي سَأَكُونُ وَقْتُهَا مَشْغُولًا مِثْلَهُمْ،  
أَتَابِعُ بِكُلِّ حِمَاسٍ مُبَارَاةَ كُرَّةِ قَدَمٍ أَوْ فِيلِمٍ تَافِهِ.

لَنْ أُنْكِرُ أَنَّكَ لَأَزَلْتَ حَبِيبَتِي وَلَكِنِّي سَأَتَجَاوِزُ كُلَّ هَذَا وَأَنَا أَتَابِعُ الْقَنَاءَةَ  
الْإِخْبَارِيَّةَ فِي الْمَسَاءِ قَبْلَ أَنْ أَخْلُدَ لِنَوْمٍ عَمِيقٍ جِدًّا، لَنْ يَكُونَ لَكَ فِيهِ أَيُّ  
حُضُورٍ، سَيَكُونُ حُلْمِي شَاشَةً سَوْدَاءَ، فَقَطْ لِأَنِّي أَنَامُ بِعُمُقٍ.

(٢)

حَبِيبَتِي، قَرَّرْتُ الْيَوْمَ وَبِكُلِّ بَسَاطَةٍ أَنْ أَخْطُو فَوْقَ صُورِكَ الْمَنْثُورَةِ  
عَلَى إِمْتِدَادِ طَرِيقِي، سَأَتَلَدُّ بِفِعْلٍ ذَلِكَ، لَا تَحْسُبِي أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ  
فَرْطِ غَضَبِي مِنْكَ أَوْ كَرَاهِيَّةٍ تَنُمُو كَنَبَتِ شَيَاطِنِي بِجَوْفِي، سَأَضْحَكُ مِلءَ  
شَدَقِي إِذَا تَصَوَّرْتَ ذَلِكَ.

أُعْذِرُنِي، فَقَطْ قَرَّرْتُ أَنْ أُفْرِشَهَا عَلَى إِمْتِدَادِ طَرِيقِي حَتَّى تُرْشِدَنِي إِلَى  
ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْكَائِنِ بِنِهَآيَةِ الطَّرِيقِ، نَعَمْ، هَلْ تُذَكِّرِينَ ذَلِكَ الْمَحَلَّ؟ بِالتَّأَكِيدِ  
تُذَكِّرِينَهُ جَيِّدًا، فَكَانَ فِيهِ أَوَّلُ لِقَاءٍ لَنَا، لَنْ يَدْفَعَنِي إِلَيْهِ الْحَنِينُ إِلَى  
عِطْرِكَ الْبَهِيِّ وَلَكِنِّ لِأَنِّي أُرِيدُ فَقَطْ أَنْ أَبْتَاعَ مَنَدِيلًا، سَتَتَصَوَّرِينَهُ مُبَرَّرًا

وَاهِيَا، وَسْتَسْخِرِينَ مِنْ سَدَاجَةِ هَذَا الْمُبَرَّرِ، مَعَكُمْ كُلُّ الْحَقِّ، وَلَكِنْ أَنْفِي  
الْمَرْكُومَ هُوَ مُبَرَّرِي الْحَقِيقِيِّ!

مِنْ الطَّبِيعِيِّ جِدًّا أَنْ تُطَارِدِنِي بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى، لَيْسَ بِالْأَمْرِ  
الْمُسْتَعْرَبِ أَوْ حَتَّى الْكَرِيهِ، كُنْتُ أَتَوَقَّعُ ذَلِكَ، أَحْيَانًا أَبْتَسِمُ لَكَ ابْتِسَامَةً  
بَاهِتَةً وَأَحْيَانًا أُخْرَى أَتَجَاهِلُكَ تَمَامًا وَقَدْ شَغَلَنِي مَوْضُوعٌ مَا.

أُعِيدُ قِرَاءَةَ الْكُتُبِ الَّتِي قَرَأْنَاهَا مِنْ قَبْلُ سَوِيًّا، أَسْتَعِيدُ بَيْنَ الْأَسْطُرِ  
الكَثِيرِ مِنْ تَعْلِيقَاتِكَ الْغَاضِبَةِ وَالْمَرِحَةِ وَالْمُسْتَاءَةِ، أُعِيدُ إِنْشَاءَ مَا دَارَ  
بَيْنَنَا مِنْ أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ وَاتَذَكَّرُهَا عَلَى التَّفْصِيلِ، أَحْيَانًا يُخْرِجُ وَجْهَكَ  
الْمُسْتَتَرَّ مِنْ وَرَاءِ الْحُرُوفِ لِأَضْحَكَ وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى أَغْلَقَ الْكِتَابُ  
عَلَى صُورَتِكَ الْهَارِبَةِ مِنْ بَيْنِ الْأَحْرَفِ حَتَّى لَا تُطَارِدِنِي فِي كُلِّ زَوَايَا  
الْبَيْتِ.

سَأَتَذَكَّرُكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَى التَّذَكُّرِ، وَأَمَّا النِّسْيَانُ فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ  
مَا يَتِمَّنَاهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ أَبَدًا، قَدْ نَجَحُ فِي خِدَاعِنَا وَخِدَاعِ  
مِنْ حَوْلِنَا بِأَنَّنَا نَسِينَا وَلَكِنَّا أَبَدًا لَا نَنْسَى، نَظْلُ نَتَذَكَّرُ!

أَمْسِ قَالَ لِي صَدِيقِي الْحُبُّ الَّذِي يُنْتَهَى بِالْفِرَاقِ هُوَ كَالْحَمْلِ الْكَاذِبِ،  
عَرَفْتُ أَنَّهُ اسْتَعَارَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ مِنَ الْفَيْسِ بُوكَ، فَضَحِكْتُ كَثِيرًا...  
كَثِيرًا، يَجِبُ أَنْ يَشْكُرَ الْفَيْسُ بُوكَ عَلَى أَنَّهُ جَعَلَ لِسَانَهُ يَلُوكُ بَضْعَةَ  
مُفْرَدَاتٍ تَبْدُو بِرَّاقَةً، تَجْعَلُ مِنْهُ عَنْ طَرِيقِ الْخَطَا شَخْصًا يَفْهَمُ!.  
وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا، حَتَّى أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَّعِيَ أَنِّي أَفْهَمُ، لَمْ  
أَنْسَاكَ صَدِيقِي وَلَكِنْ مَلَامِحُكَ الْآنَ تَبْدُو ضَبَابِيَّةً جِدًّا وَأَحْيَانًا تَغْزُونِي  
مَلَامِحُكَ جَلِيَّةً وَلَكِنْ فِي الْأَغْلَبِ تَبْدُو غَائِمَةً إِلَّا مِنْ عَيْنَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ  
سُرْعَانَ مَا يَسْتَتِرَا خَلْفَ غَيْمَةٍ رَمَادِيَّةٍ قَاتِمَةٍ.

(٣)

سَأَنْتَعِلُ حِذَائِي الْأَسْوَدَ وَسَأَتَذَكَّرُ بِالتَّأَكِيدِ أَنَّكَ كُنْتَ تَجْلِبِبْنَهُ بِنَفْسِكَ إِلَيَّ..  
سَأَرْتَدِي قَمِيصِي الْأَبْيَضَ وَسَأَتَذَكَّرُ لِأَشُكَّ أَنَّكَ كُنْتَ تَقُومِينَ بِكَيْهِ مِنْ  
أَجْلِي.



سَأَتَذْكُرُ وَأَنَا أُمَارِسُ أَفْعَالِي الْيَوْمِيَّةَ الْإِعْتِيَادِيَّةَ، أَنَّ لِكُلِّ مُمَارَسَةٍ مِنْ  
هَذِهِ ذِكْرِي لَصِيقَةٍ بِكَ.. حَتَّى كُوبُ الشَّايِ بِالْحَلِيبِ، سَتَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا  
ذِكْرِي تَبْتُ رَائِحَتِكَ مَصْحُوبَةً بِعَيْنَيْكَ النَّاعِسَتَيْنِ.

سَأُدْخُنُ سِجَارَتِي وَأَتَذْكُرُ عَلَى الْفُورِ مَلَامِحَ وَجْهِكَ الْمُتَقَلِّصَةَ تُعْبِرُ  
عَنْ إِمْتِعَاضٍ غَيْرِ حَقِيقِيٍّ، سَأَتَذْكُرُ سُعَالَكَ الْمُفْتَعَلَ لِتَنْبِيهِِي وَإِبْتِسَامَتِي  
الْخَبِيثَةَ مُتَجَاهِلًا سُعَالَكَ الْمُفْتَعَلَ.

سَأَتَذْكُرُ صَدِّقِي كُلَّ ذَلِكَ وَلَكِنْ سَأُحَاوِلُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَدَاهِمُنِي فِيهَا هَذِهِ  
الذِّكْرِيَّاتُ أَنْ أَصْرِفَهَا بَعِيدًا عَنْ ذِهْنِي لِأَنَّ قَلْبِي لَا يَعْتَصِرُهُ الْحُزْنُ  
عِنْدَمَا يَتَذَكَّرُ تِلْكَ اللَّحْظَاتِ بَلْ يَبْقَى بِأَرْدَا، لَا أُرِيدُ لِدِهْنِي أَنْ يَنْشَغَلَ بِكَ  
أَكْثَرَ مِنَ الْلَازِمِ حَتَّى لَا يَتَوَقَّفَ قَلْبِي يَوْمًا عَنْ الْخَفَقِ!

سَأَتَذْكُرُ أَيْضًا عِيدَ مِيلَادِكَ الَّذِي كُنْتُ أَنْسَاهُ عِنْدَمَا كُنْتُ مَعِي، لَيْسَ  
بِالْأَمْرِ الْمُسْتَعْرَبِ أَنْ يَكُونَ حُضُورَ هَذِهِ الْمُنَاسَبَاتِ قُوِيًّا فِي غِيَابِكَ،  
غَائِبًا فِي حُضُورِكَ، لَيْسَ غَرِيبًا أَبَدًا أَنْ أَتَذْكَرَ عَيْنَيْكَ الْمَكْتَحِلَتَيْنِ الْآنَ

وَلَا تَلَفْتَ إِنْتِبَاهِي عِنْدَمَا كُنْتَ تَفْرَعِينَ مِنْهَا بَعْدَ تَحْدِيقِكَ لَوْهْلَةٍ فِي  
الْمِرَاةِ.

الآن سَأَتَذَكَّرُ كُلَّ هَذَا وَسَأَبْتَسِمُ وَأَيْضًا، أَعِدْكَ أَنْ أُحْزِنَ وَلَكِنْ سَيَكُونُ  
هَذَا لِبَعْضِ الْوَقْتِ فَقَطْ!

سَأَجْلِسُ إِلَى مَقْعَدِي الْمُحَبَّبِ بِالشَّرْفَةِ وَأَلْقِي نَظْرَةً عَابِرَةً عَلَى مَقْعَدِكَ  
وَأَبْتَسِمَ وَسَيَهْتَرُ جَسَدِي لِذِكْرِي جَمِيلَةٍ سُرْعَانَ مَا سَتَتَبَخَّرُ فِي هَوَاءِ  
الَلَّيْلِ السَّاكِنِ تَمَامًا.

حَقًّا إِنِّي أُجَاهِدُ لِأُبْقِيكَ حَيَّةً فِي ذَاكِرَتِي وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى كَثِيرًا مَا  
تَهْرُبِينَ مِنْ ذَاكِرَتِي، لَا أَعْرِفُ هَلْ تُمَارِسِينَ لُعْبَةَ الْإِخْفَاءِ؟ وَلَكِنِّي حَقًّا  
لَمْ أَعِدْ أَتَوَقَّ لظُهُورِكَ أَوْ أَعْبَأُ لِعِيَابِكَ، فَقَطْ لَا أَعْطَى أَيَّ انْطِبَاعٍ عَنْ  
غِيَابِكَ أَوْ حُضُورِكَ سِوَى الْقَلِيلِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالْحُزْنِ وَمِنْ ثَمَّ يَمْضِي  
الْأَمْرَ سَرِيعًا.

أَسْرَعُ مِمَّا أَتَصَوَّرُ تَذْهَبُ رِيَاكُ وَيَحُلُّ مَحَلَّهَا تَفْكِيرٌ آخَرَ، التَّفْكِيرُ فِي  
الْأَشْيَاءِ، الْبَحْثُ عَنْ مَجْهُولٍ لَا يُذَكِّي حِمَاسَتِي لِلْبَحْثِ عَنْهُ أَكْثَرَ وَلَكِنَّهُ  
يُشْغِلُ وَقْتِي بِالْقَدْرِ الْكَافِي.

كُلَّ يَوْمٍ سَأَتْرُكُ خَلْفَ بَابِ غُرْفَتِي حَدَثًا كَانَ يَجْمَعُنِي بِكَ، بَلْ حَقِيقَةً قَدْ  
فَعَلْتُ ذَلِكَ عَلَى مَدَارِ الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ، حَتَّى أَنَّنِي ذَاتُ يَوْمٍ حَاوَلْتُ دَفْعَ  
بَابِ الْغُرْفَةِ فَعَادَنِي فِي ذَلِكَ وَلَمَّا بَذَلْتُ مَجْهُودًا مُضَاعَفًا لِدَفْعِهِ وَجَدْتُ  
الكَثِيرَ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَرَكَتُهَا عَنْ عُمْدٍ قَدْ تَكَوَّمتْ خَلْفَ الْبَابِ.

شَعَرْتُ بِالِدَّهْشَةِ أَوْ تَظَاهَرَتْ بِذَلِكَ، ضَحَكْتُ كَثِيرًا، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَضْحَكُ  
بِهَذَا الْعُمُقِ، وَبِهَذَا الْقَدْرِ الْكَبِيرِ مِنَ السَّعَادَةِ، قَرَّرْتُ أَنْ أُلَمِّمَ كُلَّ هَذِهِ  
الْأَحْدَاثِ، وَجَمَعْتُهَا مُرْتَبَةً فِي صُنْدُوقٍ كَرْتُونِيٍّ، آسَفُ حَبِيبَتِي لَمْ يَكُنْ  
لَدَيَّ صُنْدُوقٌ قَدِيمٌ خَشْبِي يَلِيقُ بِهِذِهِ الْأَحْدَاثِ، فَقَطَّ صُنْدُوقُ كَرْتُونِيٍّ  
جَمَعْتُ فِيهِ كُلَّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَوَضَعْتُهُ تَحْتَ فِرَاشِي.

الْحَقِيقَةُ أَنَّنِي هَذَا الْيَوْمَ نِمْتُ جَيِّدًا وَرَغِمَ أَنَّنِي لَمْ أَرَى نَفْسِي وَلَكِنِّي  
أَسْتَطِيعُ الْجَزْمَ بِأَنَّنِي كُنْتُ مُبْتَسِمًا طَوَالَ نَوْمِي، نَعَمْ تَسَرَّبَ الْحَدَثُ تِلَوَّ

الْآخِرِ مِنْ ذَلِكَ الصُّنْدُوقِ إِلَى رَأْسِي لِيَنْطَبِعَ فِي أَحْلَامِي لِيَتَبَخَّرَ فَيَتَلَوَهُ  
حَدَّثَ آخَرَ وَهَكَذَا حَتَّى أُمُضِيَتْ اِثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً نَائِمًا.

نَعَمْ، تَخْمِينُكَ أَصَابَ بِكُلِّ دِقَّةٍ، عِنْدَمَا فَتَحْتُ ذَلِكَ الصُّنْدُوقَ الْكَرْتُونِيَّ  
وَجَدْتُهُ خَالِيًا مِنْ كُلِّ الْأَحْدَاثِ الَّتِي رَتَّبْتُهَا فِيهِ أَمْسٍ بِعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ.

(٤)

سَأَفْعَلُ كَمَا غَنَى كَاطِمٌ سَتَكُونِينَ أَنْتِ الشَّجَرَةُ الَّتِي أُعْلِقُ عَلَيْهَا هُمُومِي  
وَأَحْدَاثِي الْيَوْمِيَّةَ الرُّوتِينِيَّةَ وَبَعْضًا مِنْ مَلَابِسِي، وَسَأَرْقُبُ تَسَاقُطَ كُلِّ  
هَذَا مِنْ أَغْصَانِ شَجَرَتِكَ كَأَنَّهُ الْخَرِيفُ، وَبَعْدَ مَضَى عِدَّةِ أَيَّامٍ سَأَرْقُبُ  
جَفَافَ تِلْكَ الْهُمُومِ وَالْأَحْدَاثِ الْيَوْمِيَّةِ وَذُبُولُهَا.

سَيَأْتِي الْيَوْمَ الثَّلَاثُ لِتَتَحَوَّلَ بِفِعْلِ التَّحَلُّلِ إِلَى ذَرَّاتٍ مِنَ الرَّمْلِ،  
سَأُكْنِسُهَا سَرِيعًا حَتَّى لَا تَلَوِّثَ الْمَنْزِلَ كُلَّهُ وَسَيَكُونُ الْعَالِقَ عَلَى  
شَجَرَتِكَ بَعْضٌ مِنْ مَلَابِسِي فَتَتَحَوَّلِينَ بِفِعْلِ الزَّمَنِ إِلَى مِشْجَبٍ جَيِّدٍ  
لِمَلَابِسِي الْمُبْعَثَرَةِ.

لَسْتُ أَسْخَرُ مِنْكَ صَدِّقِي، وَلَكِنِّي أَشْعُرُ بِجَفَافِ مَشَاعِرِي كَجَفَافِ  
بَحِيرَةٍ صَغِيرَةٍ، أَشْعُرُ بِسُكُونِ الْكَوْنِ مِنْ حَوْلِي، لَا تُحَرِّكُنِي أَيُّ ذِكْرِيَّاتٍ  
وَلَا تَنْتَابِنِي أَيُّ مَشَاعِرٍ تَغْيِّرُ مِنْ حَالَتِي بَيْنَ الْإِكْتِنَابِ وَالْحُزْنِ  
وَالسَّعَادَةِ، وَكَأَنَّ مَشَاعِرِي قَرَّرَتْ أَنْ تَسْكُنَ الْفَرَاغَ لِأَجْلِ غَيْرِ مُسَمًّى أَوْ  
حَتَّى مُسَمًّى، وَلَكِنِّي أَشْعُرُ بِفَرَاغٍ كَبِيرٍ مِنْ حَوْلِي، يَجْعَلُنِي بِأَرْدًا إِلَى  
أَقْصَى حَدٍّ.

جَمِيعُ مَشَاعِرِ الْحَمَاسَةِ الَّتِي تَغْتَرِينِي وَسَطُ أَصْدِقَائِي هِيَ مُفْتَعَلَةٌ، غَيْرُ  
صَادِقَةٍ بِالْمَرَّةِ، فَقَطُّ أَجَارِيهِمْ حَتَّى لَا يَنْفِرُونَ مِنِّي، نَعَمْ لَا زِلْتُ تَجْلِسِينَ  
فِي كُلِّ مَفْهَى تَطَّاهُ قَدَمِي، تَتَوَاجِدِينَ فِي كُلِّ الْأَمَاكِنِ الَّتِي أَزُورُهَا، لَمْ  
يَصْبِنِي الْجُنُونُ بَعْدُ وَلَكِنِّي أَشَاهِدُكَ بِوُضُوحٍ، تَبْتَسِمِينَ وَتَبْكِينَ بِدُونِ  
مُبَرَّرٍ.

هِيَ مُجَرَّدُ صُورٍ تَخْتَرْنُهَا ذَاكِرَتِي لَكَ، تَتَدَافَعُ بِدُونِ تَرْتِيبٍ لِتُبْرِقَ أَمَامِي  
كَوْمَضَاتٍ تُؤْذِي عَيْنِي كَثِيرًا، الْأَمْسُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ وَجَدْتُكَ تَجْلِسِينَ  
بَارِيحِيَّةٍ فِي الْمَقْعَدِ الْخَلْفِيِّ لِسَيَّارَتِي، عَيْنَاكَ تَخْتَرِقُ مَلَامِحِي وَهِيَ

تَنْظُرُ إِلَيَّ عَبْرَ الْمِرَاةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلسَّيَّارَةِ، لِبَعْضِ الْوَقْتِ كُنْتُ أُحَاوِلُ  
اِخْتِرَاقَ مَلَامِحِكَ وَلَكِنِّي لَمْ أَنْجَحْ، قِمْتُ بِهِزُّ رَأْسِي عِدَّةَ مَرَّاتٍ لِتَنْصَرِفَ  
صُورَتُكَ وَلَكِنَّ أَبَدًا لَمْ أَنْجَحْ.

أَدْرْتُ مُحَرِّكَ السَّيَّارَةِ وَانْطَلَقْتُ، تَظَاهَرْتُ بِأَنَّنِي مُنْشَغِلٌ بِالطَّرِيقِ، وَلَمَّا  
حَانَتْ مُنَى التَّفَاتَةِ أُخْرَى لِلْمِرَاةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلسَّيَّارَةِ، كُنْتُ تَبْكِينَ، رُبَّمَا  
كَانَتْ هَذِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى مُنْذُ رَحِيلِكَ الَّتِي أَشْعُرُ فِيهَا بِقَبْضَةٍ قَوِيَّةٍ  
تَعَصِرُ قَلْبِي، لَمْ أَبْكِي، لَمْ تَتَقَلَّبْ مَلَامِحِي عَلَى أَيِّ نَحْوٍ، فَقَطُّ قَبْضَةٌ قَوِيَّةٌ  
تَعَصِرُ قَلْبِي وَتَقْلِبُهُ يَمِينًا وَيَسَارًا.

حَاوَلْتُ أَنْ أَنْشَغِلَ مَرَّةً أُخْرَى بِالطَّرِيقِ وَعِنْدَمَا أَعَدْتُ النَّظَرَ إِلَى الْمِرَاةِ  
الدَّاخِلِيَّةِ كُنْتُ قَدْ رَحَلْتُ فَحَمِدْتَ اللَّهُ كَثِيرًا وَكَانَ قَلْبِي تَحَرُّرٌ مِنْ أُسْرِ  
تِلْكَ الْقَبْضَةِ الَّتِي تَعَصِرُهُ.

تَوَقَّعْتُ أَنْ تُدَاهِمَنِي بَعْضُ الْمَشَاعِرِ بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى وَلَكِنَّ عِنْدَمَا  
دَاهَمَتْنِي هَذِهِ الْمَرَّةَ كَانَتْ قَوِيَّةً بَأَكْثَرٍ مِمَّا أَحْتَمِلُ وَلَكِنَّهَا مَرَّتْ لَيْسَ



لِاتِّفَافِ الصُّعْدَاءِ وَلَكِنَّ لِأَصْفِ السَّيَّارَةِ جَانِبًا وَأُغْفِلُ قَلِيلًا، شَعَرْتُ  
بِاجْتِهَادٍ شَدِيدٍ.

يُتَعَبَّنِي حُضُورُكَ وَتُجَلِّيكِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ.

يُتَعَبَّنِي تِلْكَ الْفَرَاشَاتُ الَّتِي تَطِيرُ فِيهَا عَنْ عَمْدٍ مِنْ بَيْنِ أَكْفَاكِ لِتُحَلِّقَ مِنْ  
حَوْلِي لَيْسَ لِتُضْفِيَ مَشْهَدًا جَمِيلًا عَلَيَّ مُخَيِّلَتِي، أَبَدًا، وَلَكِنَّ لِتُورِقَنِي  
وَتُعَذِّبَنِي وَتُذَكِّرَنِي بِحُضُورِكَ رَغْمَ رَحِيلِكَ.

أَكْرَهُ أَنْ أَرَى تِلْكَ الْفَرَاشَاتِ الَّتِي تَطِيرُ فِيهَا، أَضْرِبُ بِيَدِي الْهَوَاءَ لِتَطِيرَ  
بَعِيدًا، تَظَلُّ تَحُومُ حَوْلِي لِفَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ ثُمَّ تَتَبَخَّرُ بَيْنَ أَكْفَاكِ لِأَلْمَحِ  
إِبْتِسَامَةً خَبِيثَةً تَرْتَسِمُ عَلَيَّ شَفَتَيْكَ وَأَنْتِ تُغَادِرِينَ الْمَكَانَ عَلَيَّ مَهْلًا،  
مُنْتَشِيَةً، مُنْتَصِبَةً الْقَامَةِ فِي إِنْتِصَارٍ.

أَهْزُ رَأْسِي عَلَى أَفْعَالِكَ الطُّفُولِيَّةِ هَذِهِ وَأُحَاوِلُ أَنْ أَعْتَادَ عَلَيْهَا وَلَكِنِّي  
كَثِيرًا مَا أَفْشَلُ فِي ذَلِكَ.

قَرَرْتُ فِي يَوْمٍ غَيْرٍ مَعْلُومٍ، أَنْ أَضَعَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى حَائِطِ ذِكْرِيَّاتِي صُورَةَ  
لَكَ، وَأَحْيَانًا لَنَا مَعًا، لَمْ يَبْقَى أَيُّ مَسَاحَةٍ خَالِيَةٍ فِي حَائِطِي إِلَّا وَمَلَأْتُهَا  
بِصُورَةٍ.

وَقَفْتُ أَتَأَمَّلُ الْحَائِطَ ثُمَّ هَدَمْتُهُ بِقَبْضَةِ يَدِي، أَنْهَارَ تَمَامًا مُحَدَّثًا دُويًّا  
وَعُجْبَارًا كَثِيفًا وَلَكِنَّ مَا إِنْ وَلَيْتَ الْحَائِطَ الْمُتَهَدِّمَ ظَهْرِي ثُمَّ أَعَدْتُ النَّظَرَ  
مَرَّةً أُخْرَى، رَأَيْتُ الْحَائِطَ قَائِمًا تُعِيدِينَ عَلَيْهِ تَرْتِيبُ صُورِنَا، تَسْتَدِيرِينَ  
لِي بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ تَبْتَسِمِينَ ثُمَّ تُوَاصِلِينَ تَغْلِقُ الصُّورَ بِحِمَاسٍ  
شَدِيدٍ.

جَلَسْتُ عَلَى مُقْعَدِي الْهَزَّازُ أَتَأَمَّلُ حَرَكَاتِ جَسَدِكَ الرَّشِيقَةِ وَهِيَ تُعِيدُ  
نَثْرَ الصُّورِ عَلَى الْحَائِطِ، أَبْتَسِمُ، أَتَابِعُ فِي صَمْتٍ، أَبْتَسِمُ مَرَّةً أُخْرَى.

اتَّجَهْتُ إِلَى بَابِ الْمَنْزِلِ افْتَحَهُ لِأَجَدَّ أَمَامِي تِلْكَ الْحَدِيقَةَ الَّتِي اعْتَدْنَا  
ارْتِيَادَهَا فِي نِهَايَةِ كُلِّ أُسْبُوعٍ، لَمْ أَبْتَسِمُ وَلَكِنْ تَمَلَّكْنِي الْفُضُولُ لِأَنَّ  
أَسِيرَ عَلَى مَهْلِي أَتَأَمَّلُ الْأَشْجَارَ مِنْ حَوْلِي وَبَعْضُ الْأَزْهَارِ، نَعَمْ،

سَمِعْتُ زَفْرَقَةَ الْعَصَافِيرِ وَلَكِنِّي لَمْ أَرِ قَوْسَ قُزَحَ لِأَنَّ الْوَقْتَ كَانَ صَيْفًا.

وَكَمَا رَاوَدَنِي الْحَمَاسُ الشَّدِيدُ، سَرِيعًا مَا دَاهَمَنِي أَيْضًا الْمَلْلُ الشَّدِيدُ  
فَقَرَّرْتُ الْعُودَةَ إِلَى الْمَنْزِلِ وَلَكِنَّ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ذَلِكَ الْبَابُ، لَقَدْ اِكْتَسَى  
تَمَامًا بِنَبَاتٍ زَاحِفٍ أَخْفَى كُلَّ مَعَالِمِهِ وَأَعْلَى ذَلِكَ النَّبَاتِ الزَّاحِفِ كُنْتُ  
تَجَلِسِينَ تَطْوَحِينَ قَدَمَيْكَ كَطِفْلَةٍ سَعِيدَةٍ.

بِخِيَلَاءٍ وَضَعْتُ يَدِي فِي جَيْبِي أَتَطَلَّعُ إِلَيْكَ، أُعِيدَ تَشْكِيْلُكَ مَرَّةً أُخْرَى، لَمْ  
تَكُنْ مَلَامِحُكَ ضَبَابِيَّةً هَذِهِ الْمَرَّةَ وَلَكِنَّهَا جَلِيَّةٌ وَأَنْتِ تَدْفَعِينَ الْكَثِيرَ مِنْ  
خُصَلَاتِ الشَّعْرِ خَلْفَ أُذُنَيْكَ، ذَلِكَ الشَّعْرُ الْمُمَوَّجُّ، تَهْزِينَ كَتْفَيْكَ فِي  
بَرَاءَةِ الْأَطْفَالِ كَأَنَّكَ تَقُولِينَ: لَا أَعْرِفُ أَيْنَ ذَهَبَ الْبَابُ؟

سِرْتُ حَتَّى تَوَقَّفْتُ أَمَامَ شَجَرَتَيْنِ مُتَعَانِقَتَيْنِ يُشْكَلَانِ قَوْسًا جَمِيلًا  
يُفَرِّشَانِ الْأَرْضَ الْعُشْبِيَّةَ بِظِلِّ وَافِرٍ، قَرَّرْتُ أَنْ أَتَمَدَّدَ هُنَاكَ لِبَعْضِ  
الْوَقْتِ، تَارِكًا لِحَفْنِي الْحُرِّيَّةَ فِي أَنْ يَنْسَدِلَا كَسَتَائِرِ الشِّتَاءِ عَلَى عَيْنَيَّ.

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ كُنْتُ أَتَصَبَّبُ عَرَقًا، بَلْ الْأَحْرَى أَنِّي كُنْتُ غَارِقًا فِي  
عَرَقِي، نَهَضْتُ مِنْ عَلَى فِرَاشِي تَلْعَبُ بِرَأْسِي ذِكْرِيَاتِنَا سَوِيًّا، تُخَدِّرُ  
رَأْسِي، تُجْبِرُنِي عَلَى إِغْلَاقِ عَيْنِي مُحَاوَلًا دَفْعَ هَذِهِ الذِّكْرِيَّاتِ بَعِيدًا  
وَلَكِنَّ كَمُعْظَمِ الْوَقْتِ بِلَا جَدْوَى، اِكْتَشَفْتُ فَجَاءَةً أَنَّ الْيَوْمَ هُوَ الْجُمُعَةُ،  
كَانَتْ تُمَثِّلُ لِي مُفَاجَأَةً غَرِيبَةً مَعَ أَنِّي أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ أَمْسَ هُوَ  
الْخَمِيسَ وَلَكِنَّ لِلدَّهْشَةِ شَعَرْتُ بِالْمُفَاجَأَةِ، يَغِيبُنِي حُضُورُكَ الْبَاهِتُ عَنْ  
مَسَارِ الزَّمَنِ، يَنْتَزِعُنِي مِنْهُ وَيَدْفَعُ بِي إِلَى الْإِلَازِمِ، عَبَثِيَّةُ الزَّمَانِ  
وَالْمَكَانِ هُمَا اللَّاعِبَانِ الرَّئِيسِيَّانِ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ تَحْدِيدًا حَيْثُ تُمَسِّكِينَ  
بِخُيُوطِ كُلِّ شَيْءٍ بِبِرَاعَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ.

تَتَهَدَّتُ بِعُمُقٍ وَأَنَا أَرْقُبُ بَعَيْنِي ذِكْرِيَاتِكَ وَهِيَ تَتَسَرَّبُ كَذَرَّاتِ غُبَارٍ مِنْ  
فَمِي مَصْحُوبَةٍ بِشَهَقَاتِكَ الْمَكْتُومَةِ، يُؤْلِمُنِي صَوْتُ شَهَقَاتِكَ الْمُلْتَاعَةِ  
وَالَّتِي تَتَّهَمُنِي بِالْخِيَانَةِ وَلَكِنِّي أَشْعُرُ بِرَاحَةٍ كَبِيرَةٍ الْآنَ، جَسَدِي كُلُّهُ  
عَلَى نَحْوِ فُجَائِي أُصْبِحُ خَفِيفَ الْوِزْنِ، غَادَرَنِي ذَلِكَ الْخَدَرُ السَّخِيفُ  
وَأَصْبَحْتُ الْآنَ أَكْثَرَ انْتِعَاشًا.

لَيْسَتْ مُسَلِّيَّةً أَبَدًا أَلَا عَيْبُكَ الطُّفُولِيَّةُ، لَيْسَ جَيِّدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ اسْتِدْرَارُ  
كُلِّ تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ بِدُونِ مَوْعِدٍ مُسَبِّقٍ وَبِدُونِ تَرْتِيبٍ، تُصِيبُنِي بِهَا  
كَطَلَقَاتِ رِصَاصٍ غَادِرَةٍ، تُسَدِّدِينَهَا إِلَى عَقْلِي الْمَهْتَرِيءِ فَتُخَدِّثِينَ فِيهِ  
مَزِيدًا مِنَ النُّقُوبِ.

(٦)

بِدُونِ تَرْتِيبٍ مُسَبِّقٍ قَرَّرْتُ أَلَّا أَذْهَبَ لِلْعَمَلِ الْيَوْمَ.. قَرَّرْتُ أَيْضًا أَنْ أَصْعَدَ  
إِلَى أَيِّ حَافِلَةٍ حُكُومِيَّةٍ لِأَدُورَ مَعَهَا دَوْرَةَ كَامِلَةٍ.  
هَكَذَا قَرَّرْتُ!

إِنْتَخَبْتُ مَقْعَدًا يُجَاوِرُ نَافِذَةَ زُجَاجِيَّةَ عَرِيضَةٍ، إِطَّلَعْتُ مِنْهَا عَلَى  
تَضَارِيسِ الْعَالَمِ، أُفْتِشُ فِي الْوُجُوهِ بِدَاخِلِ الْحَافِلَةِ بِلَا هَدَفٍ، وَفِي وُجُوهِ  
النَّاسِ بِالطَّرِيقَاتِ بِغَيْرِ هَدَفٍ أَيْضًا.  
هَكَذَا قَرَّرْتُ!

أَيْضًا وَبَعْدَ أَنْ أُحْتَرِقَ مِنْ سَاعَاتِ عُمْرِي سَاعَةً وَنِصْفَ قَرَّرْتُ أَيْضًا أَنْ  
أُغَادِرَ الْحَافِلَةَ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ دَوْرَتُهُ كَامِلَةً.

هَكَذَا قَرَّرْتُ!

وَقَفْتُ أَمَامَ الْبَابِ أَنْتَظِرُ مِنَ السَّائِقِ أَنْ يَفْتَحَ ضَلَفَتِيهِ لِتَشْهَدَ عَيْنِي رِمَالِ  
شَاطِئِ ذَهَبِيَّةٍ، وَنَخِيلٍ مَرْصُوصٍ كَمُضِيفِينَ فِي حَفْلَةٍ اسْتِقْبَالِي،  
تَتَمَائِلُ جُذُوعُهُمْ يَمِينًا وَيَسَارًا، وَهَوَاءُ الْبَحْرِ يَطِيرُ وَيُدَاعِبُ شَعَرَ النَخْلِ  
الْأَخْضَرَ.

زَجَرَنِي السَّائِقُ حَتَّى أُغَادِرَ، فَعَادَرْتُ.

هَكَذَا قَرَّرَ!

اسْتَدَرْتُ لِلْحَافِلَةِ اسْتَجْدِيهَا أَلَّا تُرَحِّلَ كَطِفْلٍ عَلَى وَشِكِ الْبُكَاءِ فَخَلَّفْتُ  
الْحَافِلَةَ مِنْ وَرَاءِ إِطَارَاتِهَا عَاصِفَةً تُرَابِيَّةً انْقَشَعَتْ لِيُبْرِزَ مِنْ وَسْطِهَا  
هِيَ!. كَمْ أَنْتِ خَبِيثَةٌ!.



إِبْتَسَمْتُ وَقَدْ أَذْهَبَتْ إِبْتِسَامَتِي جَزَعِي الَّذِي غَادَرَنِي فِي مَلَلٍ، فِي ثَوْبِهَا  
الْأَبْيَضُ الشَّفَافُ الَّذِي يُظْهِرُ تَفَاصِيلَ جَسَدِهَا الْخَمْرِيِّ، تَتَقَدَّمُ نَحْوِي  
بِإِبْتِسَامَةٍ عَرِيضَةٍ.

تَظْهَرُ لِي مَفَاتِنُهَا كَامِلَةً، تَتَوَهَّجُ أَسْفَلَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ.  
هَكَذَا رَأَيْتُ!

تَتَوَقَّفُ أَمَامِي فِي غُنْجٍ، يُمِيلُ جَزَعُهَا قَلِيلًا وَهَوَاءَ الْبَحْرِ يَغْبِثُ بِشَعْرِهَا  
تَمَامًا مِثْلَ شَعْرِ النَّخِيلِ، يَتَدَلَّى مِنْ أُذُنَيْهَا قُرْطَيْنِ تَمَامًا كَمَا النَّخِيلُ.  
هَكَذَا تَخَيَّلْتُ!

تَنْزِعُ عَنْهَا ثَوْبَها الْأَبْيَضَ الشَّفَافَ، تَرَسُّمُ دَهْشَةٍ إِغْوائيةٍ عَلَى مَلَامِحِهَا  
ثُمَّ تَزِينُ ثُغْرَهَا بِضِحْكَ لُغُوبٍ.

أَضْحَكُ فِي صَمْتٍ، أَضْمُّ قَبْضَتِي فِي غَيْظٍ وَسَعَادَةٍ.  
هَكَذَا فَعَلْتُ!

تَسْتَدِيرُ، تُؤَلِّينِي ظَهْرَهَا، لِيَبُوحَ جَسَدُهَا الْخَمْرِيُّ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْمَفَاتِنِ،  
أَعْضُ عَلَى شَفَتِي، أَرْفَعُ رَأْسِي نَحْوَ سَمَاءِ زَرْقَاءَ لَا تُلَوِّثُهَا أَيُّ سَحَبٍ،  
وَشَمْسَ تَتَوَهَّجُ فِي عَيْنِي وَلَكِنِّي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ...  
أَبْصَرْتُ.

يَدُ غَوَايَتِهَا تَشُدُّ عَيْنِي نَحْوَهَا مَرَّةً أُخْرَى وَهِيَ تَضْرِبُ بِقَدَمَيْهَا رَمْلَ  
الشَّاطِئِ، تُسَدِّدُ الْعَدِيدُ مِنَ الرِّكَالَاتِ إِلَى مَوْجِ الْبَحْرِ الَّذِي إِزْدَادَ  
إِضْطِرَابُهُ لَمَّا دَاعَبَتْهُ.

إِنْتَشَى الْبَحْرُ فَرَحًا، تَمَامًا كَمَا إِنْتَشَيْتُ.

رَكَضَتْ نَحْوَهَا وَخَلْفَهَا تَمَامًا تَوَقَّفَتْ، لَمْ تَحْنِ مِنْهَا التَّفَافَةُ نَحْوِي، تَعِي  
وَجُودِي وَلَكِنْ بَعَثَتْهَا الطُّفُولِي تَتَجَاهَلُهُ، تَبْتَسِمُ...

تَتَفَرِّجُ شَفَتَيْهَا عَنْ تَنْهِيدَةٍ طَوِيلَةٍ، يُفَلِّتُ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهَا الْمُكْتَنِزَتَيْنِ  
لَحْنًا شَجِيًّا اسْتَطَاعَ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ مِنَ الْوَقْتِ أَنْ يَدْفَعَ الْبَحْرَ نَحْوَ نُعَاسٍ  
هَادِيٍّ، لِثُمُوتِ أَمْوَاجِهِ الْمُضْطَرِبَةِ عَلَى سَطْحِهِ.

لِيَتَأَلَّقَ فِي لَوْنٍ أَزْرَقٍ كَرَّسَتَالِي، خَطِيطٌ وَلَمْ أَكُنْ أَنْوِي، جَاوَزْتُهَا وَلَمْ  
أَكُنْ أَنْوِي، أَمْسَكْتُ بِيَدِهَا الْيُسْرَى وَلَمْ أَكُنْ أَنْوِي.

أَفْلَتَتْ يَدِي بِرِقَّةٍ لَتْدُوسٍ بِقَدَمَيْهَا أَطْرَافِ الْبَحْرِ السَّاكِنِ وَلَحْنِهَا الشَّجِي  
تَسْرُّبُهُ كَسِرْبِ طَيْرٍ يَضْرِبُ بِجَنَاحَيْهِ هَوَاءَ الْبَحْرِ، يَزْنُو مِنْ سَطْحِهِ  
وَيَزْتَفِعُ ثُمَّ يَعُودُ لِيَزْنُو فَيَزْتَفِعُ، هَكَذَا فَعَلَ سَرَّبُ الطَّيْرِ عَلَى وَقَعِ لَحْنِهَا  
الشَّجِي.

هَكَذَا فَهَمْتُ!

تَسْتَدِيرُ لِي وَوَجْهَهَا قَدْ سَكَنْتَ مَلَامِحَهُ، تَرْفَعُ إِصْبَعَهَا، تُشِيرُ لِمَا خَلْفِي،  
وَكَانَ الْأَصْبَعُ يُجْبِرُ رَأْسِي عَلَى أَنْ يَدُورَ إِلَى حَيْثُ تُشِيرُ.

أَغْمَضْتُ عَيْنِي غَضَبًا، سَمِعْتُ أَسْنَانِي وَهِيَ تَطْحَنُ بَعْضَهَا الْبَعْضُ،  
فَتَحْتُ عَيْنِي لِأَجِدَنِي أَمَامَ "دُولَابٍ" مَلَابِسِي أَحَدَقُ فِيهِ بِبِلَاهَةٍ.

وَلَا زَالَ أَثَرُ مِنْهَا يَصْحَبُنِي، ذَلِكَ اللَّحْنُ الشَّجِي، فَأَذَرْتُ رَأْسِي، وَقَدْ  
أَضَاءَ هَذَا اللَّحْنُ بِقَلْبِي الْأَمَلَ لِأَجْدِهِ هَاتِفِي الْجَوَّالِ يَتَوَهَّجُ.. خَطُوتُ  
نَحْوَهُ مُتَنَاقِلًا لِأَجَدِّ اسْمُ زَمِيلٍ لِي بِالْعَمَلِ يَتَّصِلُ.

أَجَبْتُ.

فَبَرَزْتُ.

فَسَكَّتُ.

فَأَنْهَيْتُ ذَلِكَ الْإِتِّصَالَ، أَنْظِرْ نَحْوَ أَصَابِعِ قَدَمَيَّ وَقَدْ عَلَّقَ بِهِمْ بَعْضٌ مِنْ  
رَمْلِ الشَّاطِيءِ فَاِبْتَسَمْتُ!

(٧)

هَذَهْتُ حُزْنِي كَطِفْلِ رَضِيعٍ، أَحَاوِلُ أَنْ أَغْزُوهُ بِالنَّوْمِ لَعَلَّ ذَلِكَ يَسْكُنُ  
بُكَاءَهُ فَأَبِي.

غَيَّرْتُ لِحُزْنِي حَفَاضَتَهُ لَعَلَّهُ يُسْكِتُ فَأَبِي.

حَمَلْتُهُ بِحِرْصٍ بَيْنَ ذِرَاعَيَّ وَبِخُطَى مُتَبَاعِدَةٍ وَتَارَةٍ أُخْرَى مُتَقَارِبَةٍ  
تَحَرَّكَتْ لَعَلَّهُ يُسْكِتُ فَأَبِي.

أَرْقَدْتُهُ بِرَفْقٍ فِي فِرَاشِهِ وَغَادَرْتُهُ لِأَصْنَعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَسَافَةً كَافِيَةً حَتَّى  
لَا يُؤْذِنِي بِبُكَاءِهِ وَلَكِنِّي فَشِلْتُ!

جَلَسْتُ عَلَى مَقْعَدِي الْهَزَّازُ وَتَظَاهَرْتُ بِالنَّعَاسِ حَتَّى نَعَسْتُ.

شَعَرْتُ بِحَرَارَةِ أَنْفَاسِهِ قَرِيبَةً مِنِّي فَرَفَعْتُ لَهُ عَيْنَيْنِ مُتَسَائِلَتَيْنِ،  
فَوَجَدْتُهُ كَهَلًا يَبْتَسِمُ، جَلَسَ عَلَى الْمَقْعَدِ قُبَالَتِي يُدَخِّنُ غُلْيُونَهُ.

لَمْ أَبْدِ أَيَّ انْفِعَالٍ بَلْ جَمَدْتُ فِي مَكَانِي أَتَابِعُهُ بِهُدُوءٍ.

يُدَخِّنُ غُلْيُونَهُ بِهُدُوءٍ.

يَبْتَسِمُ.

يُدَخِّنُ.

ثُمَّ يَبْتَسِمُ.

لَمَلَمْتُ نَفْسِي مِنْ فَوْقِ مَقْعَدِي فِي كَسَلٍ، لَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَغَادَرْتُ.

زَرَعْتُ خُطَوَاتِي فِي وَجْهِ الْأَسْفَلْتِ لِيَقْذِفَنِي شَارِعٌ إِلَى آخَرٍ يَتَلَقَّفُنِي  
فَأَزْرَعُ بِهِ خُطَوَاتِي شَارِدَةً حَتَّى تَوَقَّفَتْ مِنْهَا.

جَلَسْتُ عَلَى حَافَةِ الرَّصِيفِ مُطْرِقًا، لَا يَتَنَازَعُ قَلْبِي وَعَقْلِي حُزْنَ أَوْ  
فَرَحًا، فَقَطُّ حَالَةٌ مِنَ السُّكُونِ التَّامِّ.

رَفَعْتُ عَيْنِي عِنْدَمَا تَوَقَّفْتَ دَرَجَةً هَوَائِيَّةً بِالْقُرْبِ مِنِّي وَقُدُّمًا أُنْثَوِيَّةً  
تَدُوسُ وَجْهَ الْأَسْفَلَتِ.

أَنْتِ مَرَّةً أُخْرَى.

نَهَضْتُ مُتَنَاقِلًا أَتَطَّلُعُ إِلَى وَجْهِهَا الصَّامِتِ، تَدْعُونِي لِلرُّكُوبِ خَلْفَهَا  
فَأَيَّيْتُ.

لَمْ تَبْتَسِمِ.

لَمْ تُبْدِي أَيَّ اِمْتِعَاضٍ.

فَقَطُّ تَرَكْتَنِي وَرَحَلْتِ.

لِتَعُوصَ فِي قَلْبِ الْغَابَةِ بَيْنَ أَشْجَارِهَا الطَّوِيلَةِ.

تَبَعْتَهَا عَلَى مَهْلٍ، يَقْفُوا أَثَارَهَا قَلْبِي الْمُتَعَبُ، تُرْشِدُهُ إِلَى حَيْثُ الْمُسْتَقَرِّ.

دُرْتُ خَلْفَ جَذْعِ شَجَرَةٍ بَعَيْنِهَا، لِأَجْدَهَا تَفْتَرِشُ الْأَرْضَ، تُفَرِّشُ أَمَامَهَا

عَدَدًا مِنَ الشَّطَائِرِ وَكُوبِي عَصِيرِ.

جَلَسْتُ بِجَوَارِهَا فِي صَمْتٍ.



لَمْ تُبَادِلْنِي الْكَلِمَةَ.

لَمْ تُبِدْ سَعَادَةً لِقُدُومِي.

طَالَ الصَّمْتُ فَتَمَدَّدَ الْمَشْهَدُ عَنْ يَمِينِي، لِيُبَاعِدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حَتَّى بَهَتَتْ  
فَتَبَخَّرَتْ.

تَنَهَّدْتُ وَسَمِمْتُ جُلُوسِي.

مَضَيْتُ أَدُوسٌ عَلَى أَوْرَاقِ الشَّجَرِ، أَسْمَعُ صَوْتَ طَقْطَقَةِ الْأَوْرَاقِ أَسْفَلَ  
نَعْلِ حِذَائِي حَتَّى رَأَيْتُهَا تَغْتَلِي سُلَّمًا طَوِيلًا لِتَصِلَ إِلَى قُرْصِ الشَّمْسِ،  
تَمْسُكُهُ بِيَدَيْهَا وَتُدِيرُهُ مَعَ عَقَارِبِ السَّاعَةِ فَيَعُمُّ اللَّيْلَ سَمَاءُ الْغَابَةِ.  
أَلْقَتْ بِقُرْصِ الشَّمْسِ الْمُطْفِئِ عَلَى أَرْضِ الْغَابَةِ لِيَتَهَشَّمَ أَسْفَلَ قَدَمِي  
فَلَمْ أَبَالِي.

دَسَتْ يَدَهَا فِي جَيْبِهَا وَتَنَاولَتْ حَبَّاتٍ مُضِيئَةً; بِطُفُولِيَّةٍ أَلْقَتْ بِهَا لِأَعْلَى  
لِيَتَنَاشَرَ عَلَى صَفْحَةِ السَّمَاءِ الْمُظْلِمَةِ الْكَثِيرُ مِنَ النُّجُومِ.

- هَكَذَا أَفْضَلُ.

قَالَتْهَا وَضَحِكْتُ، هَبَطْتُ فِي غُنْجٍ عَنْ دَرَجَاتِ السَّلَمِ، لِتُحَوِّطَ يَدَيَّ  
خَصَرَهَا الْجَمِيلِ، أَنْزَلْتُهَا بِرَفْقٍ إِلَى أَرْضِ الْغَابَةِ، أَنْظُرُ فِي عَيْنَيْهَا  
السُّودَوَاتَيْنِ وَقَدْ تَوَهَّجَتْ.

- تَبْدُو حَزِينًا.

فَتَحْتُ فَمِي لِأَجِيبَ فَهَرَبْتُ مِنْ الْأَحْرَفِ، شَاهَدْتُ أَجْنَحَةً صَغِيرَةً تُنْبِتُ  
لِحُرُوفِي وَهِيَ تَطِيرُ بَعِيدًا.

- لَا بَأْسَ، لَقَدْ فَهِمْتُ.

سِرْنَا طَوِيلًا، كَفَى يَدَيْنَا يَتَعَانَقَانِ، نَطُوحُ أَيْدِينَا فِي صَمْتٍ، نَتَوَقَّفُ  
فَيَطُولُ بَيْنُنَا الصَّمْتُ.

نَسْتَأْنِفُ سَيْرَنَا الْهَادِيءَ ثُمَّ نَتَوَقَّفُ، تُفَلِّتُ يَدِي لِتُزِيحَ بِيَدَيْهَا أَغْصَانًا  
مُتَشَابِكَةً، تَدْعُونِي لِأَنْ أَتَقَدَّمَ، فَاتَّجَاوَزُهَا فِي مَلٍّ، أَدُورُ رَأْسِي لِلْخَلْفِ  
أَنْتَظِرُ أَنْ تُلْحِقَ بِي.

وَلَكِنَّ كَعَادَتِهَا تُغَادِرُنِي فِي صَمْتٍ.

أَعَدْتُ النَّظَرَ مَرَّةً أُخْرَى لِأَجْدَنِي أَمَامَ بَابِ مَنْزِلِي، دَفَعْتُهُ فَأَطَاعَنِي،  
خَطَوْتُ نَحْوَ صَالَةٍ بَيْتِي لِأَجِدَ ذَلِكَ الْكَهْلَ لَا زَالَ يُدَخِّنُ غُلْيُونَهُ وَيَبْتَسِمُ.

(٨)

جَلَسْتُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَقُمْتُ بِرِصٍّ كُلِّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي اخْتَرَنْتَهَا  
ذَاكِرْتِي لِأُلْقِيَهَا عَلَى مَسَامِعِكَ إِذْ قَابَلْتِكَ يَوْمًا صُدْفَةً كَمَا عَوَدْتَنِي دَائِمًا.  
وَأَمْسَكْتُ بِخَيْطِي وَفِي ثُقُوبِ الْحُرُوفِ غَزَلْتُ مِنْهُ عَقْدًا جَمِيلًا، رَفَعْتُهُ  
إِلَى مُسْتَوَى نَظْرِي أَتَأَمَّلُهُ، لِتَتَأَرَّجَ عَلَى حَافَةِ عَيْنِي نَظْرَةٌ رِضًا.  
بِشَكْلِ غَرِيبٍ لَا تُسَبِّقُهُ مُقَدَّمَاتٌ وَلَا تَمَّهْدُ لَهُ أَيَّ مُبَرِّراتٍ اتَّجَهْتُ إِلَى  
مَطْبَخِي وَالْقَيْتُ بِالْعَقْدِ الْمُرْصَعِ بِكَلِمَاتِي فِي صُنْدُوقِ قَمَامَتِي.

نَعَمْ فَعَلْتُ ذَلِكَ وَاعْذِرْنِي، نَهْنَهْتُكَ لَنْ تَشْفَعَ لَكَ الْيَوْمَ، بَلْ لَقَدْ تَمَادَيْتُ  
وَأَيْضًا بِعَفْوِيَّةٍ تَامَّةٍ تَبَخَّرْتُ ذِكْرِيَاكَ دَفْعَةً وَاحِدَةً مِنْ رَأْسِي فَرَّقَتْ  
كَدُخَانَ إِلَى سَقْفِ الْمَطْبَخِ فَشَكَلَ سَحَابَةٌ بَيَضَاءً، أَنْتَشَتْ لَهَا رُوحِي  
وَأَسْرَعْتُ إِلَى نَافِذَةِ الْمَطْبَخِ أَفْتَحُهَا لِتَنْدَفَعَ السَّحَابَةُ وَهِيَ تَتَوَاشَبُ بِاتِّجَاهِ  
النَّافِذَةِ، فَتَحَرَّرَتْ مِنْ أُسْرِ الْمَطْبَخِ لِتَذُوبَ فِي فِضَاءِ الدُّنْيَا.

الآن أَبْتَسِمُ.

أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ سَيُغْضِبُكَ كَثِيرًا، وَلَكِنِّي كُنْتُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةً لِأَتَخَلَّصَ مِنْ  
وُجُودِكَ الْمُرْهَقِ فِي ذَاكِرَتِي الْيَوْمَ؛ فَهِيَ تَجْعَلُ رَأْسِي أَثْقَلَ مِمَّا يَجِبُ  
حَتَّى أَنَّهُ يُسْقِطُ رَغْمًا عَنِّي عَلَى صَدْرِي.

فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ دَخَنْتُ بِشْرَاهَةِ وَلَمْ أَرْتَشِفْ أَكْوَابًا مِنَ الْقَهْوَةِ  
وَلَكِنَّ تَجَرَّعْتُهَا فِي حِمَاسٍ جُنُونِيٍّ.

أَيْضًا شَرِبْتُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَاءِ وَلَا تَسْأَلِينِي لِمَذَا؟

وَأَمْضَيْتُ نِصْفَ نَهَارِي عَلَى فِرَاشِي أَتَأَمَّلُ سُقْفَ الْغُرْفَةِ.

أَيْضًا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ اسْتَقْبَلْتُ كُلَّ رِفَاقِي وَمَرَحْنَا وَلَهَوْنَا كَثِيرًا.

ضَحَكْتُ كَثِيرًا.

حَتَّى أَنِّي انْقَلَبْتُ عَلَى ظَهْرِي مِنْ كَثَرَةِ الضَّحِكِ فَطَالَعَنِي وَجْهُكَ الْغَاضِبِ  
مَرْسُومًا عَلَى سَقْفِ الْمَنْزِلِ فَبَكَيْتُ.

لَمَلَمْتُ مِنْ عُيُونِهِمْ نَظَرَاتٍ إِشْفَاقٍ وَرِثَاءٍ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْعَطْفِ.

جَمَعَتْهَا كُلُّهَا فِي حَقِّ وَالْقَيْتَهَا مِنْ نَافِذَتِي وَحَاوَلْتُ أَنْ أَرْعَ فِي  
عُيُونِهِمْ بَعْضَ مِنَ الْمَرَحِ وَلَكِنِّي فَشِلْتُ.

فَتَسَرَّبُوا الْوَاحِدَ تِلْوِ الْآخِرِ فِي صَمْتٍ، لِأَجْدَنِي فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ أَجْلِسُ  
فِي عُمُقِ "الشادر" وَحِيدًا عَلَى مَقْعَدِي، أَتَأَمَّلُ مَقْعَدَ الْمُقْرِئِ الْخَالِي  
وَيُبْهِرُ عَيْنَيَّ أَضْوَاءُ "الشادر".

نَهَضْتُ فِي تَتَاقُلٍ أَقْطَعُ تِلْكَ الْمَسَافَةَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَ مَقْعَدِي وَنِهَايَةِ  
"الشادر" فَكَلِمًا قَطَعْتُ الْأَمْتَارَ، اسْتَطَالَ "الشادر" فَوَجَدْتَنِي لَمْ أَرَاوْحَ  
مَكَانِي فَلَا زَالَتَ فِي عُمُقِ "الشادر".

فَالْقَيْتُ بِجَسَدِي عَلَى مَقْعَدِ بَيْسَارِي، تَتَعَاقُ أَصَابِعُ يَدَيَّ وَأُشَاهِدُ  
الثَّرِيَّاتِ الْوَاحِدَةَ تِلْوِ الْآخَرَى يَخْبُو نُورُهَا حَتَّى يَغْمَّ الظَّلَامُ "الشادر".

عَلَى نَحْوِ غَرِيبٍ لَمْ أَعْهَدُهُ فِي نَفْسِي اسْتَأْنَسْتُ تِلْكَ الظُّلْمَةَ بَلْ أَحْبَبْتُهَا،  
الآنَ فَقَطْ اسْتَطِيعُ أَنْ أَنْامَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ.

عَلَى مَقْعَدِي هَذَا.

فِي ظُلْمَتِي هَذِهِ.

وَحِيدًا.

(٩)

عِنْدَمَا عُدْتُ مِنَ الْعَمَلِ خَلَعْتُ هُمُومِي الْوَاحِدَةَ تَلَوْتُ الْأُخْرَى وَعَلَّقْتُهَا  
جَمِيعًا عَلَى مِشْجَبِي، بُهِتَ لَوْنُ هُمُومِي بِشَكْلِ مَفَاجِيءٍ لِي شَخْصِيًّا،  
سُوِّيتُ وَاحِدَةً مِنْ هُمُومِي قَلِيلًا لِتَنْسَجِمَ مَعَ الْبَقِيَّةِ وَمُضِيَتْ.

ذَوَّبْتُ حُزْنِي فِي فِنْجَانِ قَهْوَتِي جَيِّدًا حَتَّى تَكُونُ الْقَهْوَةُ مُرَّةً، لَا بَأْسَ  
يَسْتَهْوِينِي طَعْمُهَا الْيَوْمَ، تَذَكَّرْتُ بِضَعَةِ أَشْيَاءٍ فِي جُيُوبِ سِرْوَالِي  
فَأَخْرَجْتُهَا بِحَرَصٍ قَبْلَ أَنْ أَتَّخِذَ مَقْعَدِي، قِمَّتْ بَرَصُهَا بِعِنَايَةٍ عَلَى مَائِدَةِ  
الطَّعَامِ.

ضِحْكَةً مَبْتُورَةً.

إِبْتِسَامَةً بَاهِتَةً.

عَيْنَانِ شَارِدَتَانِ.



حَاجِبِينَ مَعْقُودِينَ.

تَأَمَّلْتُهُمْ لِلْحَظَّةِ وَمَضَيْتُ بِلَا مَلَامِحَ لِأَجْلِسَ عَلَى مُقْعَدِي الْهَزَّازُ، ارْتَشَفَ  
حُزْنِي بِهْدُوءٍ بَالِغٍ.

مَعَ آخِرِ رَشْفَةٍ شَعَرْتُ بِحَشْرَجَةٍ صَوْتِي، فَقَرَّرْتُ أَنْ أُخْلِعَهُ مِنْ حَنْجَرَتِي  
عَنُودَةً وَوَضَعْتُهُ فِي صُنْدُوقٍ مَخْمَلِيٍّ، حَتَّى لَا يَهْرُبَ مِنِّي بَعِيدًا وَغَرَقْتُ  
فِي النَّوْمِ.

أَيَقْظَنِي صَوْتُهَا الْهَامِسُ عِنْدَ الْفَجْرِ لِأَجِدَّنِي مَصْلُوبًا عَلَى مُقْعَدِي،  
وَالسَّائِرُ مِنْ أَمَامِي تَعْلُو وَتَهْبُطُ كَأَنَّهَُا تَصْلِي.

حَبَّاتُ الْعُرْقِ كَانَتْ نَابِتَةً عَلَى جِبْهَتِي الْعَرِيضَةِ، وَأَنْفَاسِي تَتَلَاخَقُ،  
نَسِيتُ أَنْ أُنْتَرَعَ أَنْفِي قَبْلَ أَنْ أُنَامَ حَتَّى لَا أَشُمَّ عِطْرَهَا الْأَخَازِ.

لِمَاذَا نَسِيتُ ذَلِكَ؟!

ارْتَفَعَتْ سَتَائِرُ الشُّرْفَةِ لِتَكْشِفَ عَنْهَا تَقَفٌ بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَةِ الشُّرْفَةِ  
تَتَأَمَّلُ ذَلِكَ اللَّيْلَ الصَّامِتُ فِي فُسْتَانِهَا الْأَبْيَضِ، تَنْظُرُ لِلْخَلْفِ بِاسِمَةٍ،  
تَدْعُونِي عَيْنَيْهَا لِأَنْ أُشَارِكَهَا هَذِهِ اللَّحْظَةَ.

وَلَكِنِّي خَلَعْتُ عَنِّي حِذَائِي وَمَعَهَا قَدَمَيَّ، تَرَكْتُهُمَا سَهْوًا فِي حِذَائِي، لَمْ  
تَكُنْ لَدَيَّ الرَّغْبَةُ لِأَنْ أُشَارِكَهَا أَيُّ شَيْءٍ، فَقَطُّ الْتَقَطْتُ عُلبَةً سَجَائِرِي مِنْ  
جَيْبِ قَمِيصِي وَأَخْرَجْتُ وَاحِدَةً لِأُدْخِنَهَا فِي صَمْتٍ.

عَادَتْ السَّتَائِرُ لِتُؤَارِي الْكَثِيرَ مِنْهَا، لَمْ أَهْتَمَّ لِذَلِكَ أَبَدًا.

مَضَتْ خَمْسُ دَقَائِقَ تَحْدِيدًا، وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ عَرَفْتُ هَذَا الْوَقْتَ بِكُلِّ هَذِهِ  
الدِّقَّةِ وَلَكِنَّ هَذَا مَا حَدَثَ، وَبَدَأَتْ أَطْرَافُهَا تَذُوبُ فِي هَوَاءِ اللَّيْلِ حَتَّى  
تَبَخَّرَتْ كُلُّهَا خِلَالَ خَمْسَةِ دَقَائِقَ أُخْرَى، لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى حِذَاءٍ  
أَبْيَضٍ بِكَعْبٍ طَوِيلٍ عَلَى أَرْضِ الشُّرْفَةِ، تَأَمَّلْتُهِ جَيِّدًا مِنْ أَسْفَلِ سَتَائِرِ  
الشُّرْفَةِ.

اسْتَعَدْتُ قَدَمَيَّ حَيْثُ لَا أَعْرِفُ كَيْفَ حَدَثَ هَذَا وَمَضَيْتُ إِلَى فِرَاشِي،  
اسْتَقْبَلَهُ بَعْدَ أَنْ أَفْرَعْتُ دُخَانَ سِجَارَتِي كُلَّهُ فِي رَأْسِي، ارْتَمَيْتُ عَلَى

الْفِرَاشِ فَغَرِقْتُ فِيهِ وَبَدَأَ وَكَأَنِّي أَغْوَصُ فِي أَعْمَاقِ مِيَاهِ زَرْقَاءَ صَافِيَةٍ  
تَتَخَلَّلُهَا أَشِعَّةُ شَمْسٍ قَوِيَّةٍ، شَمْسٌ صَيْفِيَّةٌ.

دَفَعْتُ الْمَاءَ بِيَدَيَّ وَقَدَمَيَّ أَحْرَكْتُ جَسَدِيَّ أَقْفَوُ أَثَارَهَا الَّتِي بَدَأْتُ تُلَوِّحُ  
لِي مِنْ خَلْفِ الشَّعْبِ الْمَرْجَانِيَّةِ، أَتَّبَعُهَا فِي مَرَحٍ حَتَّى صَعِدْنَا إِلَى وَجْهِ  
الْمِيَاهِ الزَّرْقَاءِ، لِتُدَاعِبَ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ مَلَامِحِي ، وَمِنْ ثَمَّ أَتَّبَعُهَا سَابِحًا  
عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ الزَّرْقَاءِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الشَّاطِئِ فَلَمْ أَجِدْهَا.

لَمْ يُعِدْ ذَلِكَ يُغْضِبُنِي، بَدَأْتُ أَعْتَادُ هَذَا الْأَمْرَ، فَقَطَّاسْتُ لِقَائِي عَلَى رِمَالِ  
الشَّاطِئِ أَنْظُرُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَزُرْقَتِهَا الصَّافِيَةِ، تَخْتَرِقُ عَيْنِي أَشِعَّةُ  
الشَّمْسِ فَلَا أَعْبَأُ لِهَذَا.

أَبْتَسِمُ. ثُمَّ أَضْحَكُ.

ثُمَّ أُنْقَلِبُ عَلَى جَانِبِي الْأَيْمَنِ لِأَرَى عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَتَيْنِ تُحْدِقَانِ بِي، تُخْفَتُ  
ضِحْكَتِي حَتَّى تَمْضِيَ مَخْلُفَةً وَرَائِهَا ابْتِسَامَةٌ هَادِئَةٌ، أَتَأَمَّلُ شَعْرَهَا  
الْأَسْوَدَ الْمُمَوَّجَ وَخُصَلَاتِهِ تَتَنَازَرُ عَلَى جَبْهَتِهَا وَتَوَارِي إِحْدَى عَيْنَيْهَا  
وَأُخْرَى تَقَطِّعُ شَفَتَيْهَا مِنَ الْمُتَنَصِّفِ.

أَمْدُ يَدِي الْيُسْرَى أَرْيَحُ خُصَلَاتِ شَعْرِهَا عَنْ وَجْهِهَا وَقَدْ ظَلَلَتْ شَفَتَيْهَا  
إِبْتِسَامَةً جَمِيلَةً، دَارَ بَيْنَنَا حَدِيثٌ مُطَوَّلٌ لَمْ نُنَبِّسْ فِيهِ بِكَلِمَةٍ وَلَكِنْ تَأَرَّجَحَ  
الْحَدِيثُ عَلَى خَيْطٍ رَفِيعٍ بَيْنَ الْأَعْيُنِ.

أَغْمَضْتُ عَيْنَايَ، وَفَتَحْتُهُمَا فَلَمْ أَجِدْ لَهَا أَثَرًا، لَمْ أَسْتَأْ لِدَٰلِكَ بَلْ نَهَضْتُ  
مَنْ رَقَدَتْ هَذِهِ لِتَرِي عَيْنِي سَقْفَ غُرْفَتِي الْمُظْلَمِ.

مَعَ نَفْخَةٍ قَوِيَّةٍ نَظَّفْتُ صَدْرِي مِنْ حُزْنِي الْعَمِيقِ، مَضَيْتُ إِلَى مَرَّاتِي  
أَتَأَمَّلُ وَجْهِي الَّذِي سَكَنَهُ الْإِرْهَاقُ فَأَعَادُ تَشْكِيلَهُ مِنْ جَدِيدٍ.

إِمْتَدَّتْ يَدِي لِتَمْحُوَ وَجْهِي مِنَ الْمِرَاةِ فَاِبْتَسَمْتُ، أَمْسَكْتُ بِكُوبِ الْمَاءِ  
الْمَوْضُوعِ عَلَى الْمَائِدَةِ الْكَائِنَةِ أَسْفَلَ الْمِرَاةِ لِأُلْقِيَ مَا فِيهَا عَلَى الْمِرَاةِ  
فَأَغْرَقُ الْمَاءَ وَجْهِي، فَاِنْتَعَشْتُ.

(١٠)

الْيَوْمَ قَرَّرْتُ أَنْ أُرَتِّبَ يَوْمِي بِشَكْلِ اسْتِثْنَائِيٍّ، سَأَجْعَلُ تَرْتِيبَهُ أَفْقِيًّا حَتَّى  
الظَّهِيرَةِ ثُمَّ سَأُعِيدُ تَرْتِيبَهُ رَاسِيًّا حَتَّى يَحِينُ وَقْتُ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

لَا أَسْبَابُ تَقَفٍّ وَرَاءَ هَذَيْنِ التَّرْتِيبَيْنِ، فَكِلَاهُمَا قُفَّتَ بِاخْتِيَارِهِمَا بِشَكْلِ  
عَشَوَائِي تَمَامًا، فَقَطُّ أَحَاوِلُ أَنْ أَدَاعِبَ مَلِّي وَلَوْ قَلِيلًا، أَحَاوِلُ أَنْ أُحْدِثَ  
بَعْضُ الدَّوَامَاتِ الْكَسُولَةِ فَوْقَ سَطْحِ مِيَاهِهِ الرَّاكِدَةِ.

أَحَاوِلُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَخْدِمَ هَذَيْنِ التَّرْتِيبَيْنِ لِصَرْفِ تَفْكِيرِي عَنْهَا، أَصْبَحْتُ  
تَحُومُ مِنْ حَوْلِي كَعَفْرِيتٍ يَتَلَبَّسُنِي، لَمْ تَعُدْ زِيَارَاتُهَا الْمُتَكَرِّرَةَ تَبْعَتْ فِي  
الْحَنِينِ إِلَى ذِكْرِيَاتِنَا مَعًا بِقَدْرِ مَا تُورِقُنِي تِلْكَ الزِّيَارَاتُ الْعَشَوَائِيَّةَ.

حَفِظْتُ فَمِي فِي الثَّلَاجَةِ حَتَّى يَتَجَمَّدَ، سَيُخْنِقُهَا كَثِيرًا عِنْدَمَا تَأْتِينِي عَلَى  
حِينَ غِرَّةٍ فَلَا تَجِدَ لِي فَمًا، فَلَنْ تَجِدَ وَقْتُهَا مَا تَقُولُهُ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ أَكْثَرَ  
ذِكَاءً فَاسْتَعَاظَتْ عَنْ ذَلِكَ بِإِشَارَاتٍ مِنْ يَدِهَا، وَتُلِحُّ عَلَيَّ بِأَنْ أَتَوَاصَلَ  
مَعَهَا عَلَى نَفْسِ الشَّكْلَةِ.

لَمْ يَتَمَلَّكَ مِنِّي الْيَأْسَ فَقَرَّرْتُ أَنْ أَضَعَ ذِرَاعِي أَيْضًا فِي الثَّلَاجَةِ حَتَّى  
يَتَجَمَّدَا، لَمْ يَحْبِطْهَا ذَلِكَ، فَقَطُّ قَرَّرْتُ أَنْ تَسْتَخْدِمَ رُمُوشَهَا وَجَفْنَيْهَا  
لِلتَّوَاصُلِ مَعِي.

أَحْنَقْتِي ذَلِكَ وَزَادَتْ حِمَاسَتِي، فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَبْتَدِعُ الْجَدِيدُ لِكَي نَتَوَاصَلَ  
فَتَحَوَّلَ الْأَمْرَ مَعِيَ إِلَى لُغْبَةٍ مُسَلِّيَةٍ، فَخَلَعْتُ عَيْنَايَ وَوَضَعْتُهُمَا فِي  
الثَّلَاجَةِ حَتَّى يَتَجَمَّدَا.

فَأَصْبَحْنَا نَتَوَاصَلُ بِلَمْسِ الْأَكْتَافِ، ضَحِكْتُ رَغَمَ أَنِّي جَمَدْتُ فَمِي، كَانَتْ  
الضَّحْكَةُ تَدُورُ كَأَعْصَارٍ فِي صَدْرِي وَتَفُورُ فُورَتَهَا الْأَخِيرَةَ فِي رَأْسِي.  
خَلَعْتُ كَتْفِي وَوَضَعْتُهُمَا فِي الثَّلَاجَةِ حَتَّى يَتَجَمَّدَا وَانْتَظَرْتُ بِدَعْتِهَا  
الْجَدِيدَةَ، فَكَانَتْ تَضْرِبُ بِرِقَّةٍ قَدَمِي لِيَصِلَ إِلَيَّ كُلُّ مَا تُرِيدُ قَوْلُهُ بِوُضُوحٍ  
تَامٍ وَشَفَافِيَّةٍ.

رَقَصْتُ قَلْبِي طَرَبًا بِهَذَا الْأَمْرِ فَقَرَّرْتُ أَنْ أَضَعَ فِي الثَّلَاجَةِ قَدَمِي حَتَّى  
يَتَجَمَّدَا.

وَقَرَّرْتُ أَيْضًا أَنْ أَنَامَ بَعْمَقٍ، فَكَانَ ذَلِكَ الثِّقْلُ الْمَفَاجِيءُ عَلَى صَدْرِي، لَمْ  
تَكُنْ لِي عَيْنَانِ لِأَرَاهَا وَلَكِنِّي رَأَيْتُهَا تَبْتَسِمُ، كَانَتْ تَجُثُّمْ فَوْقَ صَدْرِي  
تَضْحَكُ بِصَوْتٍ عَالٍ.

عِنْدَهَا قَرَرْتُ أَنْ أَتَّخِذَ أَكْثَرَ الْقَرَارَاتِ جُنُونًا، تَرَكَتُ رَأْسِي بِالنَّالِجَةِ حَتَّى  
تَتَجَمَّدَ، لَمْ أَعْبَأَ لِلْبُرُودَةِ الشَّدِيدَةِ وَلَكِنِّي بَعْدَ لَحَظَاتٍ اسْتَشْعَرْتُ بِتَيَّارِ  
هَوَاءٍ سَاخِنٍ وَقَدْ فَتَحْتُ النَّالِجَةَ ثَمِيلُ نَحْوِي تَتَأَمَّلُنِي بِابْتِسَامَةٍ أَمْ تَلَوِّمُ  
طِفْلَهَا عَلَى الْأَعْيِبِ السَّخِيفَةِ مَعَهَا.

أَفْرَعْتُ النَّالِجَةَ مِنْ كُلِّ مَا تَحْتَوِيهِ وَأَبْقَيْتُ فَقْطُ عَلَيَّ، جَمَعْتَنِي حَتَّى  
أُتِمَّتْ بِنَائِي وَاتَّخَذْتُ مَجْلِسَهَا بِجَوَارِي دَاخِلِ النَّالِجَةِ وَأَغْلَقْتُ عَلَيْنَا  
بِأَبْهَا.

ابْتَسَمْتُ فَأَرْغَمْتَنِي عَلَى الْإِبْتِسَامِ وَهِيَ تَقُولُ بِهِدْوٍ:

- سَاحِبُكَ حَتَّى نَتَجَمَّدَ سَوِيًّا.

فِي صَبَاحِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْفَائِتَةِ كُنْتُ أَسْتَلْقِي عَلَى فَرَاشِي أَشْعُرُ بِالْإِنْهَاكِ  
الشَّدِيدِ، وَمِعْدَتِي تَتَلَوَّى لِتُعْلِنَ ثُمَرِذَهَا، اِنْدَفَعْتُ لِلْمَطْبَخِ لِيُصِيبَنِي  
الذُّهُولُ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى وَقَدْ شَاهَدْتُ مُحْتَوِيَاتِ النَّالِجَةِ تَتَنَاشَرُ عَلَى أَرْضِ  
الْمَطْبَخِ وَقَدْ تَعَفَّنْتُ تَمَامًا.

تَذَكَّرْتُ مَا فَعَلْتُهُ لَيْلَةَ أَمْسٍ، ابْتَسَمْتُ وَغَضِبْتُ وَضَحِكْتُ ثُمَّ شَتَّمْتُ.

شَعَرْتُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنَّهَا تَبْتَسِمُ مِنْ خَلْفِي، اسْتَدْرْتُ نَحْوَهَا أَتَطَّلُعُ  
إِلَى مَلَامِحِ وَجْهِهَا الْبَاسِمَةِ وَهِيَ تَقُولُ:

- أَعَدَدْتُ لَنَا فُطُورًا شَهِيًّا.

مَدَّتْ يَدَهَا السَّمَرَاءُ نَحْوِي تَعَانُقَ أَنَامِلِهَا أَصَابِعِي الْغَلِيظَةِ تُجْرِنِي فِي  
اسْتِسْلَامٍ تَامٍ مِنْ نَحْوِ صَالَةِ الْبَيْتِ فَضَحِكْتُ حَتَّى أَنْهَكَنِي الضَّحْكُ وَأَنَا  
أَسْمَعُ زَقْزَقَةَ الْعَصَافِيرِ وَأَتَفَادِي أَغْصَانَ شَجَرَةٍ وَارِفَةِ الظِّلَالِ لِنَسْتَقِرَّ  
أَسْفَلَهَا.

وَصَوْتُ خَرِيرِ مَاءٍ يَتَسَلَّلُ إِلَى أُذُنِي فِي خُبْتٍ جَمِيلٍ لِأَنْظُرَ يَمِينِي فَأَجِدُ  
شَلَالًا مِنَ الْمِيَاهِ الْكْرِيسْتَالِيَّةِ تَنْهَمِرُ إِلَى بَحِيرَةٍ صَغِيرَةٍ تُحِيطُهَا صُخُورٌ  
رَمَادِيَّةٌ بَيْنَ صَغِيرَةِ الْحَجْمِ وَكَبِيرَةٍ.

كَانَتْ تَسِيرُ الْهُوَيْنِي بِاتِّجَاهِ تِلْكَ الْبَحِيرَةِ وَأَطْرَافِ ثَوْبِهَا الْمُلَوَّنِ تَتَحَوَّلُ  
إِلَى فَرَاشَاتٍ مُلَوَّنَةٍ تَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ فَيَتَاكَلُ ثَوْبُهَا مِنْ أَطْرَافِهِ حَتَّى  
يُعْرِِيَهَا تَمَامًا مِنْ ثَوْبِهَا الْجَمِيلِ.



تَعْتَلِي إِحْدَى الصُّخُورِ الرَّمَادِيَّةِ ثُمَّ تَقْفِرُ فِي رَشَاقَةٍ إِلَى مِيَاهِ الْبَحِيرَةِ  
الصَّغِيرَةِ، تَدْعُونِي لِأَنْ أُنْضَمَ إِلَيْهَا.

إِعْتَلَيْتُ نَفْسَ الصَّخْرَةِ وَقَدْ تَخَلَّصْتُ مِنْ كُلِّ مَلَابِسِي مِثْلَهَا تَمَامًا وَقَفَرْتُ  
لِتَضْرِبَ الْمِيَاهُ وَجْهِي فَيَغْمُرُنِي شُعُورٌ بِفَوْرَانٍ رَاسِيٍّ، أَفْتَحُ عَيْنِي  
لَأَجِدَنِي فِي مُنْتَصَفِ الشَّارِعِ بَيْنَ بَيْتِي وَالسُّوِيرِ مَارِكِتِ.

لَمْ يُعِدْ يَحْبِطُنِي هَذَا الْأَمْرُ كَمَا فِي السَّابِقِ، كُلُّ مَا فَعَلْتُهُ أَنَّنِي أَخَذْتُ نَفْسًا  
مُطَوَّلًا ثُمَّ مَضَيْتُ نَحْوَ السُّوِيرِ مَارِكِتِ أَبْتَاعُ بَعْضَ الطَّعَامِ.

(١١)

غَزَلْتُ مِنْ صُورِكَ الْكَثِيرَةِ وَبِمَهَارَةٍ امْرَأَةٍ عَجُوزٍ تُحِيكِ الثِّيَابُ؛ غِطَاءُ  
فِرَاشٍ كَبِيرٍ، اسْتَمَدَّ مِنْهُ الدِّفْءُ وَقَلَّبَ يَنْبِضُ فِي مُنْتَصَفِ الْغِطَاءِ يَبْتُ  
بِدِقَاتِهِ دَفَقَاتٍ مِنْ مَشَاعِرِكَ الْجَيَّاشَةِ إِلَى قَلْبِي الْخَاوِي الَّذِي عَلَّاهُ  
الْصَّدَأُ.

لَا تَسْتَغْرِبِينَ مَا أَقُولُ أَوْ تَتَصَوَّرِينَ أَنَّ بِي مَسٌّ مِنَ الْجُنُونِ وَلَكِنَّ هَذَا  
فِعْلِيًّا مَا حَدَثَ، وَلَمْ أَصْدُقْ أَذْنِي فِي بَادِيءِ الْأَمْرِ عِنْدَمَا سَمِعْتُ صَوْتَ

ذَلِكَ الْقَلْبِ النَّابِضِ، قَلَّبْتُ وَقْتَهَا الْغَطَاءِ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَعْرِفُ تَحْدِيدًا  
مِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي صَوْتُ هَذَا الْقَلْبِ النَّابِضِ، فَوَجَدْتُهُ فِي مُنْتَصَفِ الْغَطَاءِ  
يَنْبِضُ بِقُوَّةٍ، قُرْبَتُهُ إِلَيَّ أَذْنِي لِأَنَّ عَقْلِي رَفُضٌ أَنْ يُصَدِّقَ أَذْنِي حَتَّى آمَنَ  
وَعَبَّرَ عَنْ خُضُوعِهِ وَاسْتِسْلَامِهِ بِأَنْ جَعَلَنِي أَذْرَفُ الْكَثِيرِ مِنَ الدُّمُوعِ.

دُمُوعٌ حَرَّقَتْ خَدَيَّ وَلَكِنَّهَا بَدَتْ لِي فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ صَادِقَةً لِلْغَايَةِ، لَا  
أَعْلَمُ، هَلْ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي أَبْكِي فِيهَا فِرَاقُكَ؟، أَمْ سَبَقْتُهَا  
مَرَّاتٌ عَدِيدَةٌ وَتَأْمَرُ عَلَيَّ عَقْلِي وَخَبَّأَهَا بِحِرْصٍ.

رُبَّمَا هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى أَوْ الْأَلْفُ.

لَسْتُ مَعْنِيًّا مَتَى ذَرَفَتْ الدُّمُوعُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، مَعْنِيًّا أَكْثَرَ بِصَوْتِ هَذَا الْقَلْبِ  
النَّابِضِ، الَّذِي يَتَسَلَّلُ عَبْرَ عُرُوقِ الْغَطَاءِ لِيَنْشُرَ نَبْضَ ضَرْبَاتِهِ فِي كُلِّ  
الْغَطَاءِ فَيَتَسَلَّلُ إِلَى عُرُوقِي.

يَلْتَحِمُ بِهَا.

يُوَحِّدُ نَبْضِي الْقَلْبَيْنِ.

قَلْبَ ذَلِكَ الْغِطَاءِ وَقَلْبِي الْوَاهِي الْخَالِي.

اسْتَعْرِقْتُ فِي النَّوْمِ هَذَا الْيَوْمَ، بَلْ نَمْتُ بَعْمَقٍ شَدِيدٍ وَلَمْ يَنْسَى عَقْلِي أَنْ  
يَطْبَعَ عَلَى شَفَتِي ابْتِسَامَةً لَأَزِمَّتَنِي طَوَالَ فِتْرَةِ نَوْمِي، حَتَّى أَنَّنِي عِنْدَمَا  
اسْتَيْقَظْتُ وَنَظَرْتُ لَوَجْهِهِ فِي الْمِرَاةِ، وَجَدْتُ ابْتِسَامَةً أَمْسٍ لَأَزَالَتْ  
مَطْبُوعَةً عَلَى شَفَتِي.

حَاوَلْتُ حَقِيقَةً أَنْ أَكْثِرَ، أَنْ أَقْلَصَ مَلَامِحِي، لَمْ تُفْلِحْ كُلُّ هَذِهِ  
الْمُحَاوَلَاتِ فِي إِزَالَةِ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةِ الْمَطْبُوعَةِ عَلَى شَفَتِي.

حَتَّى أَنَّنِي مَضَيْتُ إِلَى الشَّارِعِ وَتِلْكَ الْإِبْتِسَامَةُ مَجْبُورٌ عَلَيْهَا، لَمْ أَسْتَقِلَّ  
السَّيَّارَةَ بَلْ بِشَكْلِ غَرِيبٍ لَمْ أَفْهَمْهُ حَتَّى الْآنَ، مَضَيْتُ إِلَى عَمَلِي سَيْرًا  
عَلَى الْأَقْدَامِ وَالْإِبْتِسَامَةِ قَدْ طَوَّقَتْ شَفَتِي بِالْكَامِلِ، حَاوَلْتُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ أَنْ  
أَرْسُمَ مَلَامِحَ خَالِيَةٍ مِنْ أَيِّ تَعْبِيرٍ عَلَى وَجْهِهِ وَلَكِنْ ذَهَبْتُ كُلُّ  
الْمُحَاوَلَاتِ سُدىً.

أَلْقَيْتُ التَّحِيَّاتِ وَالكَثِيرَ مِنَ السَّلَامَاتِ عَلَى مَنْ حَوْلِي فِي الْعَمَلِ وَنَظَرَةً  
رَيْبَةً وَاسْتِعْرَابٍ مِنْ تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةِ الْبَلْهَاءِ الْمَطْبُوعَةِ عَلَى شَفَتِي.

تَهَامَسُوا كَثِيرًا عَنْ سِرِّ تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ، تَقَدَّمُ أَحَدُهُمْ  
وَبِتَرَدُّدٍ عَرَضَ عَلَى مُزِيلِ إِبْتِسَامَةٍ وَأَنَّ مَفْعُولَهُ أَكِيدُ كَمُزِيلِ الْعَرَقِ، لَمْ  
أَغْضَبْ أَوْ أَشْعُرْ بِالْخَجَلِ وَبِنَفْسِ الْإِبْتِسَامَةِ الْبُلْهَاءِ شَكَرْتُهُ وَذَهَبْتُ إِلَى  
الْحَمَامِ وَوَضَعْتُ الْكَثِيرَ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْحُوقِ عَلَى وَجْهِهِ كُلِّهِ.

لَطَخْتُ وَجْهِهِ كُلِّهِ بِالْمَسْحُوقِ وَكُنْتُ أَعْرِفُ النَّتِيجَةَ مُسَبِّقًا وَأَنَا أَفْرُكُ  
كُلَّ عَضَلَاتِ وَجْهِهِ بِالْمَاءِ.

لَنْ تَزُولَ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةُ الْبُلْهَاءِ.

هَلْ هِيَ إِحْدَى الْأَعْيَبِ السَّمِجَةِ السَّخِيفَةِ؟

لَا بَأْسَ لَنْ أَثُورَ عَلَيْكَ أَوْ الْوُمُكِ.

أَدْرِكُ تَمَامًا مَا تَفْعَلِينَهُ، تُحَاوِلِينَ أَنْ تُضْفِيَ الْبَهْجَةَ عَلَى مَلَامِحِي  
السَّائِكَةِ وَلَكِنَّ النَّتِيجَةَ يَا حَبِيبَتِي أَنَّكَ جَعَلْتَنِي أَبْدُو كَالْأَبْلَهَةِ أَمَامَ النَّاسِ  
وَقَبْلَ ذَلِكَ أَمَامَ نَفْسِي.

عِنْدَمَا عُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ وَوَقَفْتُ أَمَامَ الْبَابِ سَقَطَتْ تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةُ الْبُلْهَاءُ  
مِنْ عَلَى شَفَتِي وَتَهَشَّمَتْ كَكُوبِ زُجَاجِيٍّ، مُحْدَثَةٌ دَوِيًّا مُزْعَجًا.

لَمْ أَنْتَفِضْ فَرَعًا كَمَا هُوَ مُفْتَرَضٌ.

لَمْ أَحْبِطُ كَمَا هُوَ مُفْتَرَضٌ.

لَمْ أَبْدِ أَيَّ إِنْفِعَالٍ كَمَا هُوَ لَيْسَ مُفْتَرَضٌ.

(١٢)

الْجَمِيلُ فِي هَذَا الْيَوْمِ تَحْدِيدًا، أَنَّهُ لَمْ يَزُرْنِي طَيْفُكَ، وَالَّذِي يَجْعَلُهُ أَكْثَرَ  
إِشْرَاقًا بِأَنَّهُ مُضِيٌّ عَلَى غِيَابِ طَيْفِكَ عَنِّي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سَابِقَةٍ عَلَى هَذَا  
الْيَوْمِ، مِمَّا جَعَلَهُ يَوْمًا مُمَيِّزًا جَدًّا.

اسْتَيْقَظْتُ عَلَى مَهْلٍ، فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ السَّبْتِ الطَّيِّبِ، أَعَدَدْتُ إِفْطَارًا  
شَهِيًّا وَتَنَاوَلْتُ قَدْحًا مِنَ الْقَهْوَةِ بِاسْتِمْتَاعٍ بَالِغٍ مَعَ ثَلَاثَةِ سَجَائِرُ.

شَاهَدْتُ نَشْرَةَ الْأَخْبَارِ الْمُمْلَةِ، وَبَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِي صَامِتًا سَاكِئًا  
تَمَامًا، لَمْ أَسْمَعْ طَوَالَ الْيَوْمِ سِوَى صَوْتِ الصَّمْتِ فَقَطْ!

نَعَمْ لِلصَّمْتِ صَوْتُ مُحَبَّبٍ يَا حَبِيبَتِي، أَشْجَى وَأَبْهَى مِنْ صَوْتِكَ  
الملائكي، غَدَوْتُ فِي الْمَنْزِلِ جِيئةً وَذَهَابًا، أَطْمَئِنَّ نَفْسِي أَنَّكَ لَا تَخْتَبِئِينَ  
فِي أَيِّ مِنَ الزَّوَايَا وَكُنْتَ سَعِيدًا جِدًّا بِخُلُوقِ الْبَيْتِ مِنْ طَيْفِكَ الْمُرْعِجِ.

مَنْ فَرَطُ سَعَادَتِي أَنَّنِي قُمْتُ بِتَسْجِيلِ هَذِهِ اللَّحْظَةِ السَّعِيدَةِ عَلَى هَاتِفِي  
الْجَوَّالِ لِأَسْتَرْجِعَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الصَّامِتُ جِدًّا عِنْدَمَا يُدَاهِمُنِي طَيْفُكَ عَلَى  
حِينَ غِرَّةٍ فَأُعْزِّي نَفْسِي وَقْتُهَا بِأَنَّنِي سَأَحْظِي بِيَوْمٍ كَهَذَا قَرِيبًا؟

أَغْلَقْتُ النَّوَافِذُ وَأَسْدَلْتُ السِّتَائِرَ وَأَغْرَقْتُ الْمَنْزِلَ كُلَّهُ فِي ظَلَامٍ دَامِسٍ،  
وَجَلَسْتُ أَسْتَمِعُ لِلصَّمْتِ وَابْتِسَامَةِ عَرِيضَةٍ تَتَرَاقَصُ عَلَى فَمِي.

حَتَّى أَنَّنِي قَرَأْتُ ثَلَاثَةَ كُتُبٍ دَفْعَةً وَاحِدَةً كَمَا أَنَّنِي دَخَنْتُ ثَلَاثَةَ سَجَائِرُ  
أُخْرَى مَعَ كُلِّ كِتَابٍ كُنْتُ أَقْرَأُهُ.

قَرَأْتُ كُتُبًا بَغِيضَةً لَا تُذَكِّرُنِي بِكَ وَلَكُمُ كَانَتْ مُمْتِعَةً وَشِيقَةً، طَالَمَا لَنْ  
يُطَالِعَنِي وَجْهُكَ الْبَاسِمُ بَيْنَ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ، فَهُوَ لِأَشْكَ كِتَابُ مُمْتَعٍ  
لِلْغَايَةِ.

نَعَمْ أُعْلِنُ الْيَوْمَ يَا حَبِيبَتِي أَنَّكَ عَدُوٌّ بَغِيضٌ، لَا مَكَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِي  
الْبَسِيطِ، رُبَّمَا غَدًا تَعُودِينَ حَبِيبَتِي مَرَّةً أُخْرَى وَاسْتَمْتَعَ بِجُنُونِكَ  
وَطَيْشِكَ وَلَكِنَّهُ بِلَاشُكَ لَيْسَ الْيَوْمَ.

يَتَمَيَّزُ هَذَا الْيَوْمَ عَنِ الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي لَمْ يَزُرْنِي فِيهَا طَيْفُكَ أَنَّهُ أَكَّدَ  
لِي حَقِيقَةَ رَاسِخَةٍ وَهُوَ أَنَّ غِيَابَكَ الْمُؤَقَّتَ يَجْعَلُنِي فِي حَالٍ أَفْضَلَ،  
تَأْتِينِي الطَّمَانِينَةُ وَالسَّكِينَةُ كَذُخَانٍ مُخَدَّرٍ يَتَسَلَّلُ إِلَى أَعْصَابِي فَيَجْبِرُهَا  
عَلَى الْإِسْتِرْخَاءِ، فِي الْأَيَّامِ السَّابِقَةِ الَّتِي هَجَرْتَنِي فِيهَا، كُنْتُ أَرْتَابُ  
أَنَّهَا إِحْدَى الْأَعْيَبِ وَلَكِنَّ مَعَ بُزُوعِ شَمْسِ الْيَوْمِ عَرَفْتُ أَنَّكَ قَرَّرْتَ  
هَجْرِي وَلَوْ بِشَكْلِ مُؤَقَّتٍ، فَكُنْتُ سَعِيدًا جَدًّا.

حَتَّى أَنَّنِي جَلَسْتُ أَشَاهِدُ قَلْبِي وَهُوَ يُرْقِصُ عَلَى أَنْعَامِ بَحِيرَةِ الْبَجَعِ  
وَيَتَمَائِلُ وَيَقْفِرُ فِي الْهَوَاءِ بِلُيُونَةٍ فَائِقَةٍ، صَفَّقْتُ لَهُ مُشَجِّعًا أَنْ يُرْقِصَ  
أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحْتَاجُ لِتَشْجِيعِي هَذَا؛ فَلَقَدْ كَانَ مَحْمُومًا  
غَارِقًا حَتَّى التُّمَالَةِ فِي رَقْصَتِهِ الْجَمِيلَةِ.

خَلَعْتُ أُذُنِي كَمَا أُخْلَعُ حِذَائِي وَالْقَيْتُهُ بِرُكْنٍ مَا بِإِهْمَالٍ شَدِيدٍ، فَصَوْتُ  
الصَّمْتِ لَا يَحْتَاجُ لِأَذَانٍ لِكَيْ نَسْمَعُهُ، إِنَّهُ يَتَسَلَّلُ إِلَى أَرْوَاحِنَا بِخُبْتٍ  
مُحَبَّبٍ لِيَسْكُنَ كَافَّةَ الْمَشَاعِرِ وَيَدْعُوهَا لِلْخُمُولِ، الصَّمْتُ فِي بَعْضِ  
الْأَوْقَاتِ يَضَعُ أَرْوَاحَنَا فِي حَالَةٍ مِنَ اللَّامُبَالَآةِ، نَحْتَاجُ كَثِيرًا إِلَى هَذِهِ  
الْحَالَةِ مِنْ حَيَادِيَةِ الْمَشَاعِرِ وَخَبَوِ نُورِهَا حَتَّى نَتِمَكَّنَ فِي النِّهَايَةِ مِنْ أَنْ  
نَتَنَفَّسَ، نَسْتَرِدُّ أَرْوَاحَنَا الْمُتَعَبَةَ مِنْ وَهَجِ الْمَشَاعِرِ الْمُضْطَّرِمَةِ، سَوَاءً  
كَانَ حَالُهَا الْفَرَحُ أَوْ الْحُزْنُ فَكِلَاهُمَا يَا حَبِيبَتِي مُرْهَقَانِ لِلرُّوحِ.

أَيْضًا مِلْنْتُ جَوْفِي الْمُحْتَرِقَ بِثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ مِنَ الْقَهْوَةِ مُنْذُ بَدَأَ الصَّبَاحُ  
مَرَّاسِمَهُ حَتَّى تَسْلُمَ مِنْهُ اللَّيْلُ الْحَبَالُ فَأَرْخَى الظَّلَامُ حَتَّى أَنَّهُ مُحِيَ الْقَمَرُ  
مِنْ قُبَّةِ السَّمَاءِ طَرَبًا وَاحْتِفَاءً بِغِيَابِكَ عَنِّي.

لَنْ أَسْتَسْلِمَ لِنُوبَةِ نَوْمٍ قَدْ أَسْتَيْقِظُ مِنْهَا فِيمَا بَعْدُ عَلَى وَجْهِكَ يَجْتُمُ فَوْقَ  
وَجْهِيّ وَأَنْفَاسِنَا تَخْتَلِطُ بِبَعْضِهَا الْبَعْضُ، وَلَكِنَّ يَا حَبِيبَتِي عَلَى الرَّغْمِ  
مِنْ سَقَطِ صَرِيْعَا، جَذَبَنِي النَّوْمُ مِنْ ذِرَاعِيْ بِنَهَمٍ شَدِيدٍ، يَتَلَدَّدُ أَنِّي  
سَقَطْتُ فِي فَخِّهِ وَأَسْلَمَنِي إِلَى نُوبَاتٍ مُزْعِجَةٍ مِنَ الْأَحْلَامِ الَّتِي تَدُورُ



كُلُّهَا فِي فَلَكِكَ، لَمْ أَسْتَطِعْ الْفَكَاكِ أَوْ الْمُقَاوَمَةَ وَلَكِنِّي فِي الْآخِرِ  
اسْتَسَلَمْتُ لِنُوبَاتِ أَحْلَامِكَ وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ تَحَسَّسْتُ أَذْنِي فَوَجَدْتُهِمَا  
مَكَانَهُمَا!

تَنَهَّدْتُ لِأَنِّي أَدْرَكْتُ أَنَّكَ مِنْ قِمَّتِ بَوَاضِعِهِمَا مَكَانَهُمَا، ثَبَّتُ نَاضِرِي عَلَى  
بَابِ الْغُرْفَةِ أَتَوَقَّعُ تَجَلُّيكَ بَيْنَ اللَّحْظَةِ وَالْآخَرَى وَلَكِنَّ لَمْ يَحْدُثْ، نَهَضْتُ  
مِنْ فِرَاشِي مُتَّجِهَاً إِلَى الْحَمَّامِ فَسَمِعْتُ جَلْبَةً فِي الْمَطْبَخِ، بِالتَّأَكُّدِ أَنْتِ،  
فَتَرَةُ الْهُدْنَةِ انْتَهَتْ وَقَدْ عُدْتُ بِكُلِّ قُوَّةٍ تَحْدِثُينِ الْجَلْبَةَ وَسَتْمَارِسِينَ عَلَيَّ  
الْمَزِيدَ مِنَ الْأَلَاعِيبِ، وَلَكِنَّ لَا بَأْسَ، سَأَكُونُ بِإِنْتَظَارِ فَتَرَةِ الْهُدْنَةِ  
الْقَادِمَةِ حَتَّى تُهْدَأُ أَعْصَابِي الْمُهِتَاجَةُ دَائِمًا وَلَوْ لِبَعْضِ الْوَقْتِ.

(١٣)

عِنْدَمَا طَالَ غِيَابُكَ هَذِهِ الْمَرَّةَ وَقَدْ مَضَى أُسْبُوعَيْنِ كَامِلَيْنِ، بَدَأْتُ فِي نَثْرِ  
حَبَّاتِ الشَّوْقِ وَالْمَحَبَّةِ، بَدْءًا مِنْ عَتَبَةِ بَابِ الْمُنْزَلِ حَتَّى فِرَاشِي، لَعَلَّ  
ذَلِكَ يَسْتَدْعِي عِطْرَهَا الْجَمِيلُ إِلَى فِرَاشِي، وَلَكِنَّكَ أَبَيْتَ عَلَى الْحُضُورِ  
وَلَا أَعْلَمُ هَلْ هِيَ لَعْبَةٌ جَدِيدَةٌ تُمَارِسِينَهَا أَمْ أَنَّكَ غَاضِبَةٌ بِالْفِعْلِ؟!

فِي الْيَوْمِ التَّالِي جَمَعْتُ كُلَّ دُمُوعِي وَقُمْتُ بِرَشِّهَا عَلَى أَعْتَابِ أَبْوَابِ  
الْمَنْزِلِ، حَتَّى عَلَى دَرَجَاتِ سُلَّمِ الْبِنَايَةِ وَصُولاَ لِمَدْخَلِهَا لِتَطْرُدَ شَيَاطِينَ  
غَضَبِكَ كَمَا أَظُنُّ وَتُوجِّجَ فِيكَ حَنِينِكَ وَشَوْقَكَ إِلَيَّ وَلَكِنَّكَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ  
أَبَيْتَ عَلَى إِجَابَةِ نِدَائِي لَكَ.

سَأَظِلُّ أَتَمَسِّكَ بِأَمَلٍ وَاهٍ عَلَى أَنَّهَا إِحْدَى نِزَاوَتِكَ أَوْ مُحَاوَلَةً مُبْتَدَلَةً مِنْكَ  
لِلدَّلَالِ، لَا أَرْغَبُ فِي رُؤْيَا الْأَمَلِ الْمَزْرُوعِ فِي قَلْبِي كَنَبْتِ بَرِيٍّ وَهُوَ  
يَحْتَرِقُ بِنَارِ هِجْرَانِكَ إِلَى الْأَبَدِ.

ابْتَلَعْتُ الْعَدِيدَ مِنَ الْأَقْرَاصِ الَّتِي تُسَاعِدُنِي عَلَى الْيَقِظَةِ لِسَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ  
لِرُبَّمَا طَيْفِكَ يَأْتِي خُلْسَةً لِيَطْمَئِنَّ عَلَيَّ ثُمَّ يَمْضِي فِي صَمْتٍ وَلَكِنَّ لَمْ  
يَحْدُثْ أَيًّا مِنْ هَذَا.

يَبْدُو أَنَّكَ قَدْ قَرَّرْتَ بِالْفِعْلِ أَنْ تُهَجِّرَنِي لِلأَبَدِ، لِرُبَّمَا تَحَوَّلْتَ فِي نَظْرِكَ  
إِلَى لُعْبَةٍ مُمَلَّةٍ لَمْ تَعُودِي بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا كَطِفْلِ لَفَتَ انْتِبَاهَهُ لُعْبَةٍ أُخْرَى  
أَكْثَرَ جَادِبِيَّةً، تُرَى مَنْ هُوَ سَعِيدُ الْحِظِّ الَّذِي شَغَلَكَ عَنِّي؟!

سَابِقِي...



سَأَصْرِخُ...

سَيَعْلُو نَشِيجِي وَنَهْنَهْتِي إِذَا رَغَبْتَ فِي ذَلِكَ.

وَلَكِنَّ هَلْ سَيَكُونُ ذَلِكَ كَافِيًا لِأَنْ تَعُودِي مَرَّةً أُخْرَى؟، رَحَلَ عَنِّي الْأَمَلُ

الْيَوْمَ كَمَا رَحَلَتْ أَنْتِ مِنْذُ فَتْرَةٍ لَيْسَتْ بِالطَّوِيلَةِ وَلَيْسَتْ بِالْقَصِيرَةِ أَيْضًا،

وَدَعَنِي بِدُونِ مَشَاعِرَ حَقِيقِيَّةٍ، بِدُونِ أَنْ يَشْعُرَ حَيَالِي بِالْآسَى الَّذِي

رَغَبْتُ أَنْ أَرَاهُ فِيهِ، وَدَعَنِي بِمَلَلٍ حَقِيقِيٍّ كَانَ بَادِيًا عَلَى مَلَامِحِهِ.

أَغْلَقَ الْبَابَ بِهُدُوءٍ وَلَكِنَّهُ بَدَأَ فِي أُذُنِي كَصَفْعَةٍ قَوِيَّةٍ لَطَمْتُ خَدِّي.

بِالْأَمْسِ خَلَعْتُ أُذُنِي لَعَلَّ هَذَا يَدْفَعُكَ لِأَنْ تُعِيدِيهِمَا إِلَيَّ فِي الصَّبَاحِ وَلَكِنَّكَ

لَمْ تَفْعَلِي.

عَبَثْتُ بِكُلِّ مُحْتَوَيَاتِ الْمَطْبَخِ لَعَلَّكَ تُعِيدِي تَرْتِيبَهَا وَلَكِنَّكَ لَمْ تَفْعَلِي.

هَجَمْتُ مَسَاءَ الْيَوْمِ عَلَى سَتَائِرِ الشُّرْفَةِ أَرْيَحُهَا كَأَنِّي أَفْاجِئُكَ وَلَكِنِّي لَمْ

أَجِدَكَ وَاقِفَةً هُنَاكَ.

حَتَّى أَنَّنِي رَقَصْتُ فِي صَالَةِ الْبَيْتِ، وَقَدْ أَغْرَقْتُ الْبَيْتَ كُلَّهُ فِي الظَّلَامِ  
وَأَخَذْتُ أَقْفَرُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَأَدُورُ حَوْلَ نَفْسِي وَأُحَرِّكُ ذِرَاعِي كَدَجَاجَةٍ  
حَمَقَاءَ وَلَكِنَّ لَمْ يَشْفَعْ كُلُّ هَذَا الْجُنُونِ الَّذِي مَارَسْتُهُ فِي أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ.

ادَّعَيْتُ النَّوْمَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ لَعَلَّ هَذَا يُغْرِيكَ بِالْقُدُومِ فَشَعَرْتُ بِسَخَافَةٍ  
الْمُحَاوَلَةِ وَإِنَّ هَذِهِ الْإِدِّعَاءَاتِ الْمُبْتَذَلَةَ لَنْ تَجْذِبُكَ إِلَيَّ فَاِبْتَلَعْتُ الْكَثِيرَ  
مِنَ الْأَقْرَاصِ الْمُنَوَّمَةِ وَحَلَمْتُ كَثِيرًا وَلَا أَتَذَكَّرُ شَيْئًا مِمَّا حَلَمْتُ.

وَضَعْتُ إِحْتِمَالًا مَا نُصِبَ عَيْنِي وَهُوَ أَنَّ الْأَقْرَاصَ الْمُنَوَّمَةَ هِيَ الْعَاقِقُ  
الَّذِي يَحُولُ دُونَ قُدُومِكَ، فَأَنْتِ تُرِيدِينَ مِنِّي نَوْمًا طَبِيعِيًّا، فَسَهَّرْتُ  
يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ ثُمَّ نِمْتُ نَوْمًا عَمِيقًا وَلَكِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْمُحَاوَلَاتِ لَمْ تُفْلِحْ فِي  
أَنْ يَتَجَلَّى لِي طَيْفُكَ الْبَهِيِّ.

أَذْرَكْتُ حِينَهَا أَنَّ الْأَمْرَ بَدَأَ قَرَارًا نِهَائِيًّا مِنْ جَانِبِكَ، هَزَّةُ رَأْسِي هِيَ  
مُوَافَقَةٌ ضَمْنِيَّةٌ عَلَى هَذَا الْإِدْرَاكِ الْمَلْعُونِ، دَخَنْتُ سَجَائِرِي كُلَّهَا حَتَّى  
أَجْهَزَتَ عَلَى غُلْبَةِ السَّجَائِرِ كُلِّهَا.

سَعَلْتُ كَثِيرًا.

ثُمَّ ذَهَبْتُ لِنَوْمِ الْمُسْتَسْلِمِ وَكَانَ هُنَاكَ أَمَلٌ وَاهٍ أَصْفَرُ لَوْنُهُ يَتَمَسَّكَ  
بِصُغُوبَةٍ بِغُصْنِ الشَّجَرَةِ، يَنْتَظِرُ أَيَّ نَسَمَةٍ هَوَاءٍ عَابِرَةٍ لِيَسْقُطَ أَرْضًا.  
مَضَيْتُ إِلَى فِرَاشِي، وَضَعْتُ رَأْسِي وَأَنَا أَشَاهِدُ وَرَقَةَ الْأَمَلِ الْمُصْفَرَّةَ  
تُسْقِطُ عَنْ غُصْنِ الشَّجَرَةِ إِلَى أَرْضِ الْغُرْفَةِ وَقَدَّمَ مَا تَدُوسُهَا فَتَسْحَقُهَا..  
هَلْ كَانَتْ قَدَمُكَ؟!

لَا أَعْرِفُ وَذَلِكَ لِأَنَّ شَخِيرِي وَقَّتَهَا حَجَبُ الْإِجَابَةِ عَنِّي.

(١٤)

تَصْعَدِينَ يَا حَبِيبَتِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى عَرْشِ السَّمَاءِ، تُرْفَعِينَ أَطْرَافَ ثَوْبِكَ  
الْفَضْفَاضِ وَأَنْتِ تَعْتَلِينَ دَرَجَاتِ السَّلَامِ، مَعَ كُلِّ وَطْأَةٍ قَدَمٍ، تَشْتَعِلُ دَرَجَةً  
مِنْ دَرَجَاتِ السَّلَامِ كَجَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ، يَخْبُو نَارُهَا مَخْلَفَةٌ وَرَاءَهَا نُورًا  
سَاطِعًا، حَتَّى تَجْلِسِينَ فِي خِيَلَاءٍ عَلَى عَرْشِكَ فَيَتَوَهَّجُ جَسَدُكَ بِالضِّيَاءِ  
حَتَّى يُلَوِّنَ قُبَّةَ السَّمَاءِ مِنْ مَشَارِقِهَا إِلَى مَغَارِبِهَا بِنُورِكَ الْبَهِيِّ السَّاطِعِ.  
أَجْلِسُ تِلْكَ السُّوَيْعَاتِ الْفَاصِلَةَ بَيْنَ حَدِّ النُّورِ وَحَدِّ الْغُرُوبِ فِي شَرْفَتِي  
أَتَأَمَّلُ اضْطِجَاعَكَ الْمَلَكِيَّ عَلَى الْعَرْشِ وَأَنْتِ تَضَعِينَ سَاقًا فَوْقَ الْأُخْرَى،

تَبْتَـسِمِينَ فَتَتَلَأْ أَسْنَانُكَ بِحَبَّاتِ النُّورِ، أَجْلَسَ هَكَذَا بِلَا حَرَآكِ مُنْتَبِتًا إِلَى  
مَقْعَدِي بِغَيْرِ قَيْدٍ حَتَّى يَخْبُوَ النُّورُ الْمُتَوَهِّجُ فِيكَ، وَيَمِيلُ إِلَى الْإِحْمَرَارِ،  
فَتَنْهَضِينَ فِي خِيَلَانِكَ السَّآحِرُ عَنْ عَرْشِكَ، تَهْبُطِينَ دَرَجَاتِ السُّلَمِ بِتَوْدَةٍ  
وَدَلَالٍ لِيَخْبُوَ أَيْضًا وَهَجُ الدَّرَجَاتِ وَتَتَلَوَّنُ بِالْأَحْمَرِ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَيْهَا  
سَوَادُ اللَّيْلِ، هَكَذَا تَفْعَلِينَ.

دَرَجَةٌ...

دَرَجَةٌ...

وَلِحَظِّي السَّعِيدِ يَا حَبِيبَتِي تَنْتَهِي دَرَجَاتُ سُلَمِكَ السَّمَآوِيِّ عِنْدَ شُرْفَتِي،  
تَطْنِينَ بِقَدَمَيْكَ الرَّقِيقَتَيْنِ أَرْضِ شُرْفَتِي، وَيَدَايِ مَمْدُودَتَانِ تُسَاعِدُكَ  
عَلَى الْإِسْتَوَاءِ بِأَرْضِ الشُّرْفَةِ، تَبْتَـسِمِينَ وَتَتَنَاوَلِينَ مِنْ طَرَفِ ثَوْبِكَ  
قَمَرًا صَغِيرًا تَقْذِفِينَهُ فِي مَرَحٍ طُفُولِيٍّ إِلَى الْأَعْلَى، لِيَتَّخِذَ مَكَانَهُ فِي  
وَسَطِ الْقُبَّةِ السَّوْدَاءِ فَيُضِيءُ لَيْلَنَا الْمُظْلَمَ.

نَعَمْ يَا حَبِيبَتِي لَقَدْ أَصَابَنِي الْخَرَفُ، هَكَذَا أَرَاكِ مُنْذُ قَرَّرْتَ هَجْرِي، هَكَذَا  
تُصَوِّرُ لِي خِيَالَاتِي الْمَرِيضَةَ حُبُّكَ.

وَبَيْنَ لَحَظَاتِ انْصِهَارِ عَيْنِي فِي عَيْنَيْكَ يَا حَبِيبَتِي، يَتَبَخَّرُ جَسَدُكَ  
الْمُضِيءُ بِالْأَبْيَضِ بِسُرْعَةٍ تُثِيرُ أَعْصَابِي، لِتَصْعُدَ ذَرَّاتُكَ كَحَبَّاتِ مُضِيئَةٍ  
مُسْتَقَرِّهَا السَّمَاءُ لِتُزَيِّنَهَا بِنُجُومٍ فَضِيَّةٍ تَجَاوِرَ الْقَمَرَ فِي تَزْيِينِ السَّمَاءِ،  
حَتَّى يَتَبَخَّرَ كَفِّكَ الرَّقِيقَيْنِ بَيْنَ أَصَابِعِي وَتَذُوبُ آخِرُ ذُرَّةٍ فِيهِمَا وَهِيَ  
تَصْعَدُ لِلْسَّمَاءِ حَيْثُ الْمُسْتَقَرُّ.

لِتَبْدَأَ جَلَسَتِي الْمَسَائِيَّةُ فِي إِنْتِظَارٍ أَنْ تَخْبُوَ قَنَادِيلُكَ الْمُنْتَشِرَةُ فِي صَفْحَةِ  
السَّمَاءِ لِتَتَلَمَّسَ حَبَّاتُ نُورِكَ اللَّيْلِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى مَعَ بُزُوغِ فَجْرِ جَدِيدٍ،  
لِتَشْكَلَ جَسَدُكَ الْبَهِيِّ فِي ثَوْبِهِ الْأَبْيَضِ وَأَنْتِ تَصْعَدِينَ مَرَّةً أُخْرَى  
دَرَجاتِ سَلَمِكَ لِعَرْشِ السَّمَاءِ.

كَمْ أَنَا فانتازيٌّ فِي تَصَوُّرَاتِي عَنْكَ يَا حَبِيبَتِي، سَأَظَلُّ أَهْذِي وَأُخْرِفُ  
وَتَتَابَعِي نَوْبَاتٍ مِنَ الْهَلُوسَةِ حَتَّى يُرِقَ قَلْبُكَ لِحَالِي وَتَمْحِيَ عَنْ  
ذَاكِرَتِي تِلْكَ الْأَيَّامَ الْمَاضِيَّةَ الَّتِي قَرَّرْتُ فِيهَا الرَّحِيلَ بِغَيْرِ مُبَرَّرٍ.. بِدُونِ  
حَتَّى أَنْ تَلْقَى بَيْنَ يَدَيَّ حُجَّةَ رَحِيلِكَ، جَرِيْمَتِي الَّتِي دَفَعْتُكَ إِلَيَّ هَجْرِي،  
سَأَظَلُّ أَهْلُوسٌ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَعُودِي مَرَّةً أُخْرَى.. فَإِنْ كُنْتُ قَادِرَةً عَلَى



إِسْتِيعَابِ الْمَزِيدِ مِنْ هُلُوسَاتِي، فَكُلَّ يَوْمٍ سَأَتُلُو عَلَيْكَ الْجَدِيدَ مِنْهَا حَتَّى  
يَفِيضَ قَلْبُكَ مِمَّا اعْتَرَانِي مِنْ خَرَفٍ فَيَتَشَقَّقُ وَقَدْ تَفَجَّرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ  
الْمَاءِ لِتَرْوِي ظَمْنِي.

أَعِدُّكَ أَنْ أَحَافِظَ عَلَى هُلُوسَاتِي وَأَرْتَقِيَ فِيهَا!

(١٥)

حَبِيبَتِي، سَنُبْحِرُ سَوِيًّا فِي بَحْرِ الظُّلُمَاتِ، نَعَمْ أَغْنِي مَا أَقُولُ تَمَامًا،  
سَنُبْحِرُ سَوِيًّا فِي بَحْرِ الظُّلُمَاتِ...

سَيَكُونُ هُنَاكَ مُتَّسِعٌ لِلْأَحْزَانِ، سَنَشْهَدُ مِيلَادَ الْمِنَاتِ مِنَ الْمَشَاعِرِ  
الْحَمَقَاءِ، سَيَمْخَرُ مَرْكَبَنَا فِي دُمُوعِنَا، الَّتِي سَتُشَكِّلُ بَحْرًا عَظِيمًا،  
سَتَكُونُ رِحْلَةً مَأْسَاوِيَّةً إِلَى دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْإِبْهَارِ...

أَسَفٌ يَا حَبِيبَتِي لِأَنَّنِي أَحْمِلُ بَيْنَ ضُلُوعِي كُلِّ هَذَا الظَّلَامِ الْمُزْعِجِ،  
سَأُزِينُ سَمَاءَ رِحْلَتِنَا بِقَمَرٍ مُظْلِمٍ، سَتَشْهَدِينِ ضَوْءَهُ الْخَافِي بَيْنَ  
الضَّبَابِ وَالْغَيْمِ، لَنْ يَكُونَ الْبَحْرُ هَائِجًا، سَيَكُونُ سَاكِناً جِدًّا، عَلَى الرَّغْمِ  
مِنَ الْغَيْمِ الَّتِي تَنْتَشِرُ كَخَلَائَا سَرَطَانِيَّةٍ بِقَبْتِهِ السَّمَائِيَّةِ...



الْحُزْنَ يَا حَبِيبَتِي يَجْعَلُهُ سَاكِنًا، بَلَا حَرَكَ كَالْمَوْتَى، لَا شَيْءَ يُغْرِيهُ  
لِلثُّورَةِ وَالْغَضَبِ، فَقَطُّ السُّكُونُ وَالصَّمْتُ هُوَ اللَّاعِبُ الْاَوْحَدُ فِي رِحْلَتِنَا  
الدِّرَامَاتِيكِيَّةُ هَذِهِ.

لَا أُجِيدُ صِيَاغَةَ لَوْحَاتِ رُومَانِسِيَّةٍ رَقِيقَةٍ تَتَوَهَّجُ بِالْفَرَاشَاتِ وَالْوُرُودِ  
الْمُلَوَّنَةِ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ جَوًّا مَلَانِكِيًّا سَاحِرًا.  
فَقَطُّ أُجِيدُ صِنَاعَةَ الظَّلَامِ يَا حَبِيبَتِي.

فَلِقَاؤُنَا الثَّانِي بَعْدَ الْأَوَّلِ هُوَ كَارِثِيٌّ بِكُلِّ الْمَقَائِيسِ، لِقَاءٌ يُذَكِّرُنَا بِكُلِّ  
الْأَمِنَا وَأَطْفَالِ الْحُزَنِ السَّاكِنِينَ بَيْنَ ضُلُوعِنَا، نُجَرِّجُهُمْ كَأَحْمَالٍ  
مُسْلَسَلَةٍ بِأَقْفَالٍ غَلِيظَةٍ.  
تُرْهِقُنَا الرِّحْلَةُ...

نَعَمْ أَنَّهَا رِحْلَةٌ تَخْلُو مِنْ أَيِّ أَمَلٍ...

حَتَّى كَلِمَاتِي هَذِهِ مَا هِيَ إِلَّا بُرْكَانٌ مِنَ الْيَأْسِ وَالْقَتُوطِ...

أَسَفٌ لِأَنَّنِي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحِبَّكَ كَمَا يَنْبَغِي لِلْمُحِبِّينَ أَنْ يُحِبُّوا...

فَأَنَا مَعْجُونٌ بِالْحُزْنِ، أَعَادَ تَشْكِيلَ مَلَامِحِي كُلُّهَا، حَتَّى أَحْبَالِي الصَّوْتِيَّةَ  
يَتَقَافَزُ عَلَى أَوْتَارِهَا صَوْتُ صَدِيءٍ مُعَبِّاً بِالشَّجَنِ...

لَا تَطْلُبِي مِنِّي أَنْ أَعْرِفَ لَكَ أَرْوَعُ الْأَلْحَانِ، فَأَرْوَعُ لَحْنٍ عِنْدِي هُوَ  
الصَّمْتُ...

أَكْرَهُ صَوْتَ النَّايِ الْحَزِينِ وَلَكِنَّهُ الْأَقْرَبُ إِلَيَّ نَفْسِي، يَتَسَلَّلُ بِخُبْثٍ تَحْتَ  
مَسَامٍ جِلْدِي وَيَنْزَعُ كَأَشْوَاكِ الصَّبَّارِ فِي عُرُوقِي...  
حَقِيقَةٌ قَاتِمَةٌ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ...

حَاوَلِي أَنْ تُفْتِشِي فِي مَلَامِحِي الْبَائِسَةَ عَنْ أَيِّ بَادِرَةٍ لِلْأَمَلِ وَالْحُلُمِ...  
إِنِّي فِي تَوْقٍ عَظِيمٍ لِهَذِهِ الْبَوَادِرِ وَإِنَّ كَانَتْ تَمَثَّلُ خَطَأً حَسَابِيًّا فِي  
عَالَمِي الْمُظْلَمِ وَلَكِنِّي بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى.  
حَاوَلِي أَنْ تَنْبُتِي فِي أَرْكَانِ عَالَمِي الْمُظْلَمِ بَعْضِ الْوُرُودِ الْمُلوْنَةِ وَالَّتِي  
أُدْرِكُ وَأَنْتِ تُدْرِكِينَ جَيِّدًا أَنَّهَا سَتَذُبُّ فَوْرَ نُمُوِّهَا...

وَلَكِنَّ رَجَاءَ لَا تَيَّاسِي مِنْ زَرْعِ الْمَزِيدِ وَإِنْ لَاحَ لَكَ فِي الْأُفُقِ أَنَّ الْأَمَالَ  
الْمَعْقُودَةَ عَلَى تَبْدِيدِ ظُلْمَةٍ عَالَمِي وَاهِيَّةٍ أَوْ ضَرْبٍ مِنَ الْخِيَالِ وَلَكِنَّ  
اسْتَمْرِي فِي عَمَلِكَ الْمُقَدَّسُ هَذَا.

سَتَكُونُ عَظِيمَةً جِدًّا مُحَاوَلَاتِكَ غَيْرِ الْمُجْدِيَّةِ، وَإِنْ لَمْ تُثْمِرْ.

يَكْفِي أَنَّهُ لَا زَالَ هُنَاكَ أَحَدٌ مَا يَهْتَمُّ لِأَمْرِي وَإِنْ بَاعَتْ كُلُّ مُحَاوَلَاتِهِ  
بِالْفَشْلِ الذَّرِيعِ.

وَلَكِنِّي سَأَكُونُ سَعِيدًا جِدًّا بِتِلْكَ الْمُحَاوَلَةِ الَّتِي سَأُثْمِنُهَا كَثِيرًا، وَسَأُظَلُّ  
أَذْكُرُهَا فِي صَفْحَةِ تَارِيخِي الْمُعْتَمِ عَلَى أَنَّهَا مُحَاوَلَاتٌ فَاشِلَةٌ لِزَرْعِ  
الْحُلُمِ.

حَاوِلِي فِي كُلِّ دَرْبٍ تَسْلُكِيْنَهُ فِي عَالَمِي الْمُظْلَمِ أَنْ تُخَلِّفِي وَرَاءَكَ بَسْمَةً  
حَانِيَةً، رَقِيقَةً، لَا يَشْتَرِطُ فِيهَا الْجَاذِبِيَّةُ أَوْ الْإِغْوَاءُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ  
بَسْمَةً خَالِيَةً مِنَ التَّعْبِيرِ وَلَكِنَّهَا تَكْفِي لِأَنْ تُرْشِدَ خُطَوَاتِي فِي هَذَا الْعَالَمِ  
الْمُعْتَمِ تَمَامًا.

سَأَكُونُ مَمْتَنًا جِدًّا لِمُحَاوَلَاتِكَ الْمُسْتَمِيتَةِ الْبَائِسَةِ أَنْ تَهْزِي أَضْلُعِي لَعَلَّ  
قَلْبِي الْمَيِّتَ يَنْتَفِضُ مِنْ سُبَاتِهِ وَيَهْفُو إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى وَإِنْ كَانَتْ  
النَّتِيجَةُ الْحَثِمِيَّةُ هُوَ فَشِلَ مُحَاوَلَاتِكَ جَمِيعًا.

وَلَكِنْ لِيَكُنْ دَافِعَكَ إِلَى ذَلِكَ هُوَ بَالِغُ امْتِنَانِي.

حَبِيبُي، الَّتِي قَرَّرْتَ خَوْضَ عَالَمِي الْمُعْتَمِ، شُكْرًا لِكَ عَلَى تِلْكَ الْمُحَاوَلَةِ  
السَّادِجَةِ مِنْ جَانِبِكَ، سَأَنْعُكَ وَقْتُهَا بِالْمَجْنُونَةِ وَسَأَذْكُرُكَ عَلَى الدَّوَامِ  
وَأَنْتَ تُرَافِقُنِي فِي رِحْلَتِي هَذِهِ أَنْكَ مَجْنُونَةٌ وَسَتَعْجِزُكَ كَلِمَاتِي الْمَرِيرَةُ  
كَثِيرًا، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَنْ تَشْعُرِي بِالنَّدَمِ عَلَى مُرَافَقَتِي.

هَذَا جُلُّ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ أَنْ تَظَلِّي رَفِيقَتِي فِي دَرْبِ الظَّلَامِ الَّذِي غَلَّفَنِي  
كَالْكَفَنِ، لَا بَأْسَ مِنْ هَذَا الظَّلَامِ، لَنْ يُخِيفُنِي طَالَمَا أَنْتِ نَجْمٌ يَتَلَأَلُ فِي  
سَمَائِهِ الْمُعْتَمَةِ.

رَيْثَمَا يُرَحِّلُ النَّهَارُ يَا حَبِيبَتِي، سَتَأْتِي يَقْطُتِي...

اِنْتَظِرِينِي بِحُلُولِ الْمَسَاءِ حَيْثُ سَأَتَزِينُ كَمِصْبَاحٍ بَاهِتِ الضَّوْءِ...

لَا أَمْلِكُ الْكَثِيرُ مِنَ الضَّوْءِ لِأَنْتَرَهُ حَوْلَكَ يَا حَبِيبَتِي...

فَقَطُّ لَدَيَّ مِصْبَاحٌ بِهِ فَتِيلَةٌ شَارَفَتْ عَلَى الْإِحْتِرَاقِ...

النَّهَارُ أَصْبَحَ يُورِقُ مَضْجَعِي...

يُحْرِقُ جِلْدِي وَيَحْرِقُ مَعَهُ كُلُّ مَشَاعِرِي الطَّيِّبَةِ...

يَرْسُبُ فِي عُرُوقِي أَحَاسِيْسُ شَاحِبَةٍ مُهْتَرِنَةٍ تَدْعُونِي لِلْحُزَنِ...

فِي الصَّبَاحِ يَخْتَرِقُ طَيْفُكَ الْجَمِيلُ، فَلَا يُبْقَى لِي مَن سَوِيَعَاتِ الصَّبَاحِ

سِوَى أَلَمِ الْإِنْتَظَارِ...

الصَّبَاحُ يَغْنِي أَنْ أَذْهَبَ لِلْعَمَلِ..

وَأَنْ أَجْهَزَ حَقِيبَتِي بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُجَامَلَاتِ السَّطْحِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْمَقُولَةِ،  
أُرْتَبِّهَا جِدًّا فِي حَقِيبَتِي، فِي إِنْتِظَارٍ أَنْ أُوزَّعَهَا كَوُرُودٍ صِنَاعِيَّةٍ عَلَى  
كُلِّ مَنْ حَوْلِي.

فَهُمْ لَا يَغْنِيهِمْ بَأْيُ مَقَامٍ حَالَتِي وَعَلَامَةُ الْإِسْتِفْهَامِ الْمَتَارَجِحَةِ بَيْنَ  
جُفُونِي.

هُمْ يُرِيدُونَنِي فَقَطْ إِنْسَانًا طَبِيعِيًّا، لَا تَشْوِبُهُ مِسْحَةُ حُزْنٍ...

لَا تَعْتَرِيهِ عَوَارِضُ الْكَابَةِ وَالشَّرُودُ...

يُرِيدُونَنِي بِاسِمًا، يُطَالِبُونَنِي بِأَنْ أُرْتَدِيَ قِنَاعًا لَا يُمَثِّلَنِي حَتَّى لَا تُؤْذِيَهُمْ  
مَشَاعِرِي الْمَصْبُوعَةُ بِطَعْمِ الْعَلَقَمِ.

لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنِّي تَأْوِهَاتِ بَابِ صَدِيءٍ...

فَقَطْ يُرِيدُونَ مِنِّي ضِحْكَةً صِنَاعِيَّةً...

وَابْتِسَامَةً صِنَاعِيَّةً...

وَعَيْنَانِ تَضُخَّانِ حَيَوِيَّةً صِنَاعِيَّةً...

وَأَنْ يُبَعِّرَ لِسَانِي الْكَثِيرُ مِنَ الْأَحْرَفِ الْمُزْخَرَفَةِ بِعِبَارَاتِ الْوَدِّ  
الْمُتَكَلِّفَةِ...

تَرَكْتُ مُرْغَمًا صُورَتِكَ عَلَى الطَّائِلَةِ قَبْلَ أَنْ أُغَادِرَ الْبَيْتَ لِأَنَّهَا تَذَكُّرُهُمْ  
بِطَعْمِ الْحُزْنِ...

لَا يَشْتَهُونَ رَائِحَةَ الْحُزْنِ، فَلَدَيْهِمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْحُزْنِ لِيَسْتَنْشِقُوهُ كُلَّ  
صَبَاحٍ مِثْلِي تَمَامًا.

لَا أُلُومُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَبِالتَّالِي حَرَصْتُ عَلَى أَنْ أَحْشُو حَقِيبَتِي بِالْكَثِيرِ  
مِنَ التَّعْبِيرَاتِ الرَّشِيقَةِ...

حَشَرْتُ أَيْضًا فِي حَقِيبَتِي كَلِمَاتِ الشُّكْرِ وَالْعِرْفَانِ وَالتَّقْدِيرِ، بِعِنَايَةٍ  
فَائِقَةٍ.

وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَنَا فِي طَرِيقِي لِلْعَمَلِ، تَقَيَّاتُ حَقِيبَتِي بِكُلِّ مُحْتَوَيَاتِهَا  
فِي أَقْرَبِ صُنْدُوقِ قُمَامَةٍ صَادَفَهَا.  
لَمْ أَغْضَبْ...

لَمْ أَسِبْ وَأَلْعَنُ لِلنِّصْفِ السَّاعَةِ الَّتِي أَمْضَيْتُهَا فِي تَرْتِيبِ حَقِيبَتِي...

فَقَطُّ ابْتَسَمْتُ وَشَعَرْتُ بِالِامْتِنَانِ لِحَقِيبَتِي الَّتِي رَفَضَتْ كُلَّ ذَلِكَ الزَّيْفِ  
الَّذِي وَضَّيْتُهُ جَيِّدًا وَآثَرْتُ أَنْ تُظْهَرَ فَيَضَا هَائِلًا مِنْ الْكَآبَةِ يُنَاسِبُ جَلَالَ  
المُوقِفِ.

اِحْتَضَنْتُ حَقِيبَتِي بَعْدَمَا أَفْرَعْتُ كُلَّ مَا فِي جَوْفِهَا لِأَنَّ مِغْدَتِي سَكَنْتُ بَعْدَ  
مَعْرَكَةٍ طَوِيلَةٍ طَوَالَ الطَّرِيقِ إِلَى الْعَمَلِ.

أَمْضَيْتُ يَوْمِي الصَّبَاحِي فِي الْعَمَلِ صَامِتًا، لَمْ يَرُقْ ذَلِكَ لِلْجَمِيعِ، لَمْ  
أَهْتَمَّ، هُدُوءُ مِغْدَتِي أَكْبَرُ دَافِعٍ لِأَنْ أَتَجَاهَلَ نَظَرَاتِهِمُ اللَّائِمَةَ.

عِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ؛ اِنْتَهَرْتُ قُدُومَكَ كَثِيرًا.

وَلَكِنِّي مُؤَخَّرًا كَمَا اِعْتَدْتُ مِنْكَ أَيْضًا لَمْ تَظْهَرِي، لَمْ يَسْطِعْ حَتَّى طَيْفُكَ  
كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ.

لَقَدْ اسْتَسَلَمْتُ مُؤَخَّرًا لِعِغْيَابِكَ، لَمْ يُعِدْ يَدْفَعْنِي إِلَى الْجُنُونِ وَالْغَضَبِ كَمَا  
كُنْتُ أَفْعَلُ مِنْ قَبْلُ، أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ تَقَبُّلاً لِهَذَا الْأَمْرِ.



فَقَطُّ أَحْتَاجُ لِهَذِهِ الظَّلْمَةِ الَّتِي تُزِيلُ عَنْ كَاهِلِي وَطْأَةَ التَّكَلُّفِ الَّذِي  
أُمَارِسُهُ كُلَّ صَبَاحٍ.

تَسْتَكِينُ مِعْدَتِي وَتَنَامُ كَقِطَّةٍ شَبِعْتَ مِنَ الْأَكْلِ وَارْتَكَنْتُ إِلَى رَكْنٍ قَصِيٍّ  
لِتَسْتَقْبَلَ سَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنَ النَّوْمِ.

دَخَنْتُ كُلَّ السَّجَائِرِ الَّتِي حَبَسْتُهَا عَنِّي فِي الصَّبَاحِ وَدَخَنْتُ سَجَائِرَ  
الْمَسَاءِ كُلَّهَا، وَثَارَتْ رِئْتِي فَسَعَلْتُ كَثِيرًا فِي مُحَاوَلَةٍ لِإِرْضَائِهَا وَلَكِنَّهَا  
لَمْ تَكْتَفِي إِلَّا بِذَبْحِ صَدْرِي مِنْ كَثْرَةِ السُّعَالِ وَلَكِنِّي لَمْ أَهْتَمَّ.  
فَقَطُّ أَشْبَعْتُ عُرُوقِي وَتَلَافَيْفَ مُخِّي مِنَ السَّجَائِرِ كَمَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ  
تَشْبُعَ.

وَاسْتَقْبَلْتُ النَّوْمَ أَيْضًا لِسَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ كَمِعْدَتِي الْمُتَمَرِّدَةِ...

نِمْتُ يَا حَبِيبَتِي وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ لَنْ تَزُورِينِي حَتَّى فِي حُلْمِي وَلَكِنْ  
إِطْمَئِنِّي أَصْبَحْتَ أَكْثَرَ اسْتِسْلَامًا لِفِكْرَةِ غِيَابِكَ.

لَمْ تُعِدْ تَزْعِجْنِي تِلْكَ الْفِكْرَةُ بَعْدَ الْآنَ...

مَا يُزْعِجُنِي مُنْذُ الْآنَ وَصَاعِدًا هُوَ رَائِحَةُ الصَّبَاحِ عِنْدَمَا يَغْزُو أَنْفِي  
فَيُوقِظُ فِي شُعُورٍ دَاهِمٍ بِالْأَلَمِ.

(١٧)

فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ.

سَتَفْتَقِدُ مَنْ تُحِبُّهُ وَتَشْعُرُ بِالْحُزْنِ مِنْ انْقِطَاعِهِ عَنِ التَّوَاصُلِ مَعَكَ،  
مَصْحُوبًا هَذَا الْحُزْنَ بِالْأَمَلِ فِي أَنْ يَتَوَاصَلَ مَعَكَ قَرِيبًا.

فِي الْيَوْمِ الثَّانِي.

يَزْدَادُ ثَقْلُ الشُّعُورِ بِالْحُزْنِ وَيُطْبِقُ عَلَى صَدْرِكَ، يُحْشِرُجُ الْكَلِمَاتُ فِي  
حَلْقِكَ، تَتَذَوَّقُهُ بِحِرْصٍ فَتَجِدُهُ مَرِيرًا، وَتَزْدَادُ نَبْتَةُ الْأَمَلِ نَمُوءًا جَرِيًا وَرَاءَ  
تَوَاصُلٍ لَعَلَّهُ قَرِيبٌ.

فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ.

يَتَسَرَّبُ مِنْكَ الْحُزْنُ شَيْئًا فَشَيْئًا كَجَيْشٍ مِنَ النَّمْلِ وَيَتَدَفَّقُ مَكَانَهُ شُعُورٌ  
عَارِمٌ بِالْغَضَبِ، بِالْغَيْظِ، يُصَاحِبُكَ طَوَالَ الْيَوْمِ وَتَبْدَأُ أَوْرَاقَ الْأَمَلِ فِي أَنْ

تَجِفُّ الْوَاحِدَةُ تِلْوَ الْأُخْرَى، حَتَّى تَتَعَرَّى الشَّجَرَةُ مِنْ كُلِّ أَوْرَاقِهَا وَتَبْقَى  
تُرْبَةً الْأَمَلِ مُخَضَّبَةً بِالرَّجَاءِ.

الكثيرُ مِنْهُ...

فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ.

يُنَازِعُ شُعُورَكَ بِالْغَضَبِ شُعُورًا آخَرَ بِالصَّدَمَةِ، كَيْفَ اسْتَطَاعَ الْحَبِيبُ أَنْ  
يَتَخَلَّى عَنْكَ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ.

لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ أَنَّ الصَّقِيعَ قَدْ سَكَنَ قَلْبَهُ، تَظُنُّ أَنَّهُ لَازَالِ يَنْبِضُ  
بِاسْمِكَ.

فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ.

يُغَادِرُكَ الْغَضَبُ كَكَهْلٍ أَصَابَ عَقْدُهُ السَّادِسُ وَقَدْ أَتَمَّ عَمَلَهُ عَلَى أَكْمَلِ  
وَجْهِهِ.

وَيَخْتَرِقُ شُعُورَكَ بِالصَّدَمَةِ كَأَعْوَادِ الْبُخُورِ وَتُشَاهِدُ دُخَانَهُ يَسِيرُ  
مَحْمُولًا عَلَى الْهَوَاءِ حَتَّى يُغَادِرَ شُرْفَةَ مَنْزِلِكَ بِهُدُوءٍ بَالِغٍ.

وَمِنْ ثَمَّ يُطْلُ عَلَيَّكَ مَنْ أَبْعَدَ نُقْطَةً فِي سَقْفِ غُرْفَتِكَ شُعُورٌ دَاهِمٌ بِالْكَآبَةِ.

فِي الْيَوْمِ السَّادِسُ وَالسَّابِعُ.

تَتَخَلَّصُ تَدْرِيجِيًّا مِنْ نَزْلَةِ الْكَآبَةِ، مَعَ كُلِّ نَفْخَةٍ يُطْلَقُهَا فَمُكَ كَبُوقِ قِطَارٍ،

تَتَخَلَّصُ مِنْ بَعْضِ الْكَآبَةِ.

حَتَّى تَكُونُ النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي تَطْرُدُ آخِرَ ذَرَّةٍ لِلْكَآبَةِ وَتَكُونُ مَصْحُوبَةً

بِهَوَاءٍ بَارِدٍ كَأَنَّكَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ وَتَحْدِيدًا فِي شَهْرِ فَبْرَايِرَ، حِينَ تَشْهَدُ

أَنْفَاسُكَ الْبَارِدَةَ تَتَشَكَّلُ أَمَامَكَ.

فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ تَضَعُ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَى قَلْبِكَ وَقَدْ ضَرَبَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ،

تُدْرِكُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الصَّقِيعَ قَدْ غَزَاهُ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْهُ.

فِي الْيَوْمِ الثَّاسِعِ.

لَا يُغَادِرُكَ الشُّعُورُ بِالْبُرُودَةِ الَّتِي أَصْبَحْتَ تَسْتَوِطُنُ عِظَامَكَ وَتُكَبِّلُ

خَلَايَا مُحْكِكَ الرَّمَادِيَّةِ، تَعْتَادُ أَنْفَاسُكَ الْبَارِدَةَ، تُحَاوِلُ أَنْ تُدَخِّنَ سِجَارَةً

فَتَجَمِّدُ عَلَى شَفَتَيْكَ، فَصَقِيعُكَ لَا يُطْفِئُهَا وَحَسَبَ وَلَكِنَّ يُجَمِّدُهَا تَمَامًا.

فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ.

تَسْتَيْقِظُ وَقَدْ اسْتَعَدَّتْ عَافِيَتَكَ، وَكَأَنَّ كُلَّ مَا مَرَّ لَمْ يَكُنْ، تَبْتَسِمُ، وَتُعَدُّ  
فَنَجَانَ قَهْوَتِكَ وَتُلْتِمُ سِجَارَتَكَ بِاسْتِمْتَاعٍ ثُمَّ تُدَخِّنُهَا بِشِرَاهَةٍ.

تَجْلِسُ تَتَابَعُ فِيلْمًا ضَاحِكًا وَتَضْحَكُ وَلَكِنَّ لَيْسَ مِنْ قَلْبِكَ بَلْ مِنْ جَوْفٍ  
أَصْبَحَ خَاوِيًا، لَا حَيَاةَ فِيهِ.

سَيَعْتَرِيكَ بَعْضُ الشُّعُورِ بِالْقَلْقِ وَأَنْتِ تَتَحَسَّسُ ضَرْبَاتِ قَلْبِكَ فَلَا تَكَادُ  
تَشْعُرُ بِهَا.

هُوَ كَذَلِكَ، لَقَدْ تَجَمَّدَ تَمَامًا أَوْ رُبَّمَا لَمْ يُعِدْ مَا بَيْنَ أَضْلَعِكَ الْقَلْبِ الَّذِي  
تَعْرِفُهُ وَلَكِنَّهُ حَجَرَ اسْتَطَاعَ بَبْرَاعَةٍ أَنْ يَمِيتَ لَدَيْكَ الْمَشَاعِرَ، بِمَهَارَةٍ لَمْ  
تَكُنْ تَحْسُبُ حِسَابَهَا.

حَدَّثْتُ دُونَ وَاعِي حَقِيقِي مِنْكَ.

تَسْتَنْكِرُ الْأَمْرَ بَعْضَ الْوَقْتِ ثُمَّ تَمْضِي تَضْحَكُ ضِحْكَةً جَوْفَاءَ عَلَى فِيلْمٍ  
ضَاحِكٍ، لَمْ تُعِدْ تَذَكَّرُ أَيَّ شَيْءٍ عَنْ غِيَابِ حَبِيبِكَ...

أَيُّ شَيْءٍ!

وَلَنْ يَتَشَكَّلَ فِي رَحِمِ جَوْفِكَ الْأَجُوفِ أَيُّ مَلَامِحَ رَجَاءٍ لِلتَّوَاصِلِ، فَقَطُّ  
الْخَوَاءُ.

لَا تُحَاوِلِ التَّطَلُّعَ إِلَى مَلَامِحِكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَحْدِيدًا فِي الْمِرَاةِ، فِي  
الْغَالِبِ لَنْ تَرَى أَيَّ مَلَامِحَ، سَيَكُونُ وَجْهُكَ مَمْسُوحًا، كَأَنَّكَ لِلتَّوِ نَظَّفْتَ  
زُجَاجَ النَّافِذَةِ جَيِّدًا مِنْ أَيِّ شَوَائِبَ.

سَتَتَحَوَّلُ إِلَى ذَلِكَ الْكَائِنِ الشَّفَافِ، لَنْ تَرَى يَدَيْكَ وَلَكِنَّ سَتَشْعُرُ بِهِمَا، لَنْ  
تَرَى جَسَدَكَ وَأَنْتَ تَسْتَحِمُّ وَلَكِنَّ سَتَرَى قَطْرَاتِ الْمِيَاهِ وَهِيَ تَرْتَدُّ عَنْ  
جَسَدِكَ الشَّفَافِ، سَتُصَفِّفُ شَعْرًا لَنْ تَرَاهُ، وَتَفْرُكُ عَيْنَيْنِ لَا تَرَاهُمَا فِي  
الْمِرَاةِ وَلَكِنَّكَ لِلْعَجَبِ تَرَى!

سَتَتَنَاوَلُ حَقِيبَتَكَ وَتَطُوحُهَا فِي الْهَوَاءِ وَتَسْتَمِعُ بِمُشَاهَدَةِ حَقِيبَتِكَ كَطِيرٍ  
يَتَخَبَّطُ فِي الْهَوَاءِ.

سَتُعَادِرُ شِقَّتَكَ وَلَنْ يُلَاحِظَكَ جَارُكَ الْعَجُوزُ وَسَتُلْقِي عَلَيْهِ السَّلَامَ  
وَتَضْحَكُ وَهُوَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ فِي فَرْعٍ فَلَا يَرَاكَ.

سَيَكُونُ جَمِيلًا وَقْتُهَا أَنْ تَكُونَ شَفَافًا.

(١٨)

تُسِيلُ مَشَاعِرِي كَالِدِمَاءِ النَّازِفَةِ مِنْ جُرْحٍ قَدِيمٍ، لَا يُضَمِّدُهَا الصَّبْرُ

عَلَيْهَا أَوْ اللَّامِبَالَةَ، لَا يُطَهِّرُ ذَلِكَ الْجُرْحُ الْغَائِرُ تَنْهَدَاتِي.

فَقَطْ تُسِيلُ مَشَاعِرِي كَجُرْحٍ نَازِفٍ.

يَتَيَبَّسُ قَلْبِي بَعْدَ أَنْ نَزُفَ كُلُّ مَشَاعِرِهِ طَوَالَ الْيَوْمِ.

شَحَنَاتُ الْحُزْنِ لَا تُوقِظُهُ مِنْ سُبَاتِهِ، لَا تَدْفَعُهُ لِأَنْ يُكْسِرَ ذَلِكَ الْجَلِيدَ

الْمَتَكُومَ عَلَى جِدَارِهِ.

بَلْ يَزْدَادُ الْجَلِيدُ الَّذِي يَحْتَضِنُ قَلْبِي سَمَاكَةً، كُلَّمَا حَاوَلْتُ هَزَّهُ بِحُزْنِي

وَأَمَلِي وَرَجَائِي.

أَرْكُضُ نَحْوَ الْحَائِطِ ارْتِطَمَ بِهِ بِقُوَّةٍ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُنْعِشُ ذَاكِرَةً تَتَسَرَّبُ رَغْمًا

عَنِّي مِنْ إِنَاءٍ مَثْقُوبٍ.

أَفْقِدُ الذَّاكِرَةَ...

وَأَفْقَدُ الْمَشَاعِرَ...

أَفْقَدُ الْمَلَامِحَ...

أَفْقَدَ حَتَّى صَوْتِي الصَّديءَ...

أَفْقَدُ كُلَّ شَيْءٍ يُشِيرُ إِلَيَّ بِسُهُولَةٍ...

بِدُونِ أَدْنَى مُقَاوَمَةٍ...

يُغَادِرُنِي كُلُّ مَا يَخُصِّنِي فِي صَمْتٍ؛ حَتَّى دُونَ صَخَبٍ!

حَتَّى أَثَاثُ الْمُنْزَلِ هُوَ الْآخِرُ اسْتَعَدَّ لِلرَّحِيلِ.

فَأَسْتَيْقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ لِأَفْتَقِدَ مَقْعَدًا كَانَ هُنَاكَ فِي الرُّكْنِ.

أَوْ مَزْهَرِيَّةً كَانَتْ هُنَا عَلَى الْمَائِدَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ.

تِلْكَ اللُّوْحَةُ الزَّيْتِيَّةُ الرَّائِعَةُ الْمُعَلَّقَةُ فِي وَسْطِ الْحَائِطِ، قَرَّرْتُ أَيْضًا

الرَّحِيلَ، تَارِكَةً خَلْفَهَا آثَارَهَا عَلَى الْحَائِطِ.

حَتَّى أَلْوَانُ الْحَوَائِطِ بَدَأَتْ تَبْهَتْ تَبَاعًا.

الْيَوْمَ بَهَّتْ أَلْوَانُ غُرْفَةِ نَوْمِي كَامِلَةً.



وَبِالْأَمْسِ بَهَتَتْ أَلْوَانُ صَالَةِ بَيْتِي أَيْضًا.

أَصَابَ الْإِعْوَاجَ أَذْرُعَ الثَّرِيَّاتِ.

كَأَنَّهَا تَتَضَامَنُ مَعَ بَاقِي الْمَوْجُودَاتِ فِي هِجْرَتِهَا إِلَى حَيْثُ لَا أَعْلَمُ.

تَنْعِي حَظُّهَا الْعَاثِرُ الَّذِي يُثَبِّتُهَا رَغْمًا عَنْهَا فِي سَقْفِ مَنْزِلِي.

أَشْفَقْتُ عَلَى الثَّرِيَّاتِ وَفَكَكْتُهَا الْوَاحِدَةَ تَلَوَ الْأُخْرَى.

فَلَمَلَمْتُ أَذْرُعَهَا وَضَمَمْتُهَا حَوْلَهَا وَرَحَلْتُ هِيَ الْأُخْرَى.

الْمَنْزِلُ الْآنَ فِي حَالَةٍ فَرَاغٍ تَامٍ.. تَمَامًا مِثْلَ قَلْبِي الَّذِي بَدَأَ يَتَصَدَّعُ وَقَدْ غَزَاهُ الصَّدَأُ.

تَتَشَقَّقُ جُدْرَانُ الْمَنْزِلِ، لَا أَعْلَمُ هَلْ تُعْلِنُ هِيَ الْأُخْرَى الْعِصْيَانُ  
وَالْتَّمَرْدُ؟، فَمَا دَامَتْ لَا تَمْلِكُ مَزِيَّةَ الرَّحِيلِ، فَسَتَتَشَقَّقُ حَتَّى يَتَسَاقَطَ ذَلِكَ  
الْمَنْزِلُ فَوْقَ رَأْسِي.

لَرُبَّمَا كَفِيلٌ هَذَا بِأَنْ يُنْهِيَ مَوْتِي الْبَطِيءَ.

اسْتَعَرْتُ ضِحْكَهُ مُقْتَضِبَةً مِنْ جَارِي الْعَجُوزِ، الْآنَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَانِي  
بَعْدَ أَنْ كَانَ بِالْأَمْسِ يَتَلَفَّتُ بَاحِثًا عَنْ مَصْدَرِ صَوْتِي.

طَلَبْتُ مِنْهُ بِكُلِّ هُدُوءٍ أَنْ يَعِيرِنِي ضِحْكَهُ وَاحِدَةً وَأَخِيرَةً.  
أَسْتَغْرِبُ طَلْبِي.

وَتُرَاقِصُ الْإِسْتِنْكَارَ فِي عَيْنَيْهِ.

وَلَكِنَّهُ لِلْحَقِّ لَمْ يَبْخُلْ عَلَيَّ بِضِحْكَهُ أُخْرَى مُقْتَضِبَةً.

أَعْطَانِي إِيَّاهَا وَأَغْلَقَ بَابَ شِقَّتِهِ فِي هُدُوءٍ.

عُدْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَوَقَفْتُ أَمَامَ مِرَاتِي، الَّتِي ظَلَّتْ وَفِيَّهَ وَبَقِيَتْ مَكَانَهَا،  
أَلْصِقُ تِلْكَ الضِّحْكَهَ عَلَى وَجْهِهِ.

تَبَدَّلَتْ صُورَتِي فِي الْمِرَاةِ إِلَى ظَلَامٍ قَاتِمٍ، وَغَادَرَتْ مِرَاتِي مَكَانَهَا، تُغْلِنُ  
رَفْضَهَا لِتَحْمُلِ الْمَزِيدَ مِنْ سَخَافَاتِي وَرَحَلَتْ هِيَ الْأُخْرَى.

لَا بِأَسَ لَمْ أَعِدْ أَسْتَغْرِبُ هَذَا.

فِي الْمَسَاءِ أَشْعَلْتُ النَّارَ فِي كُرْسِيِّ الْأَخِيرِ الَّذِي رَفَضَ الْمَغَادِرَةَ وَأَخَذْتُ  
أَرْقُصُ حَوْلَهُ بِجُنُونٍ وَأَطْلُقُ صَيْحَاتٍ أَكْثَرَ جُنُونًا وَأَضْحَكُ مِنْ قَلْبِي عَلَى  
سَدَاجَةِ كُرْسِيِّ الَّذِي رَفَضَ الرَّحِيلَ فَأَنْزَلْتُ بِهِ ذَلِكَ الْعُقَابَ الْمَرِيرَ.

اسْتَمْتَعْتُ كَثِيرًا بِالرَّقْصِ حَوْلَ النَّيِّرَانِ حَتَّى هَدَّأْتُ فَسَكَنْتُ فَاسْتَحَالَتْ  
رَمَادًا، فَرَقَدْتُ بِجَوَارِهَا وَدَاهَمَنِي نَوْمٌ عَمِيقٌ.

(١٩)

سَيُمَزِّقُنِي طَيْفُكَ يَوْمًا مًا.

سَيُمَزِّقُ أَحْشَائِي بِقَسْوَةٍ شَدِيدَةٍ.

لَنْ يَكُونَ الْأَلَمُ وَقْتُهَا ذَلِكَ الْمُحَبَّبُ إِلَى النَّفُوسِ الْمُتَاعَةِ الْمُحَاصِرَةِ  
بِأَشْوَاقِهَا.

وَلَكِنَّهُ سَيَكُونُ أَلَمًا مُبْرِحًا سَيَتَغَذَّى عَلَى رُوحِي حَتَّى لَا يُبْقَى فِيَّ إِلَّا  
جَسَدٌ تَنَحَّرُ فِيهِ رِيحٌ عَاصِفَةٌ.

رُبَّمَا سَأَفْقِدُ ظِلِّي أَيْضًا وَسَأُحَاوِلُ أَنْ أَبْتَاعَ وَاحِدًا وَسَأَفْشَلُ حَتَّى فِي ذَلِكَ.

سَأُطَالِعُ فِي الْمِرْآةِ عَيْنَيْنِ خَاوِيَتَيْنِ.

عَيْنَيْنِ أَظْلَمَتْ فِيهِمَا الْحَيَاةُ فَكَانَتَا كَكُرَتَيْنِ مِنْ زُجَاجٍ يَمْتَصَّانِ الضَّوْءَ وَلَا يَعْكِسَانِهِ.

أَعْلَمُ أَنَّهُ يَوْمٌ أَتٍ لَا رَيْبَ فِيهِ.

وَلَمْ أَسْتَعِدَّ لَهُ يَا حَبِيبَتِي فَأَنَا الْمُسَيَّرُ إِلَى هَلَاقِي وَأَنَا أُدْرِكُ تَمَامًا وَبِكُلِّ وُضُوحٍ أَنَّ طَيْفَكَ يَمْتَصُّ مِنْ رُوحِي كُلَّ حِينٍ.

وَبَعْدَمَا وَعَى هَذَا الْمَصِيرُ الْمُظْلِمُ، لَأَزَلْتُ أُمَارِسُ نَفْسَ الْحَمَاقَةِ يَوْمِيًّا وَأَسْمَحُ لَطَيْفِكَ الْخَبِيثِ أَنْ يَمْتَصَّ مِنْ رُوحِي وَيَرْتَشِفُ حَتَّى يَشْمَلَ.

لَا حِيلَةَ لِي لِأَبْرَاءٍ مِنْكَ فَأَنْتِ الدَّاءُ الَّذِي لَا يَسْعُنِي أَنْ أَدْفَعَهُ عَنِّي أَوْ أَتَحَصَّنُ مِنْهُ، فَأَنَا إِنْ فَعَلْتُ فَقَدْتُ طَيْفَكَ وَهَذَا مَا لَا أَرْجُوهُ فَلْيَكُنْ لَطَيْفَكَ الْخَبِيثِ كُلَّ السَّطَوَةِ وَالْأَرِيحِيَّةِ التَّامَّةِ لِأَنْ يَصْنَعَ بِرُوحِي مَا تَشَائِينِ.

فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَزُورُنِي طَيْفُكَ إِخْسَرَ مَسَاحَةً جَدِيدَةً مِنَ الضَّوءِ كَانَتْ تَغْمُرُ  
نَفْسِي وَلَا أَبَالِي.

أَصْبَحْتُ مَسَاحَاتِ الظُّلْمَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي.

وَلَكِنْ لَا بَأْسَ، سَأَتَقَبَّلُ ذَلِكَ بِكُلِّ سَعَادَةٍ.

فَالظَّلَامُ الدَّامِسُ فِي حَالَتِي سَيُضْحِي الْحَلُّ الْمِثَالِيُّ لَجَسَدٍ خَاوٍ بَعْدَ أَنْ  
تَمْتَصِّي كُلَّ رُوحِي.

لَا تَتَصَوَّرِي أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُقَدَّمَاتٌ لَطُقُوسٍ مُقَدَّسَةٍ سَأَمَارِسُهَا تَجْهِيْزًا  
لِلْإِنْتِحَارِي.

لَا أَمْلِكُ هَذَا الْيَقِينَ الصُّلْبَ نَحْوَ الْإِنْتِحَارِ وَتُخَذِّلُنِي الشَّجَاعَةُ إِذَا فَكَّرْتُ  
فِي الْأَمْرِ.

سَيَتَحَمَّلُ طَيْفُكَ وَحْدَهُ وَزَرَ خَوَاءٍ جَسَدِيٍّ مِنَ الرُّوحِ أَمَامَ اللَّهِ وَسَأَكُونُ  
وَقْتُهَا نَقِيًّا.

نَقِيًّا إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي سَيَتَوَهَّجُ فِيهَا جَسَدِي بِالنُّورِ.

سَأَصْبِحُ طَاقَةً نُورَانِيَّةً شَبِيهَةً بِالْمَلَائِكَةِ وَلَكِنِّي لَسْتُ مِنْهُمْ.

سَأَجْمَعُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَنُورِ الْمَلَائِكَةِ.

كَمْ سَأَكُونُ مُمَيِّزًا وَقْتُهَا؟

سَتَكْتَشِفِينَ وَقْتُهَا أَنَّكَ خَسَرْتَ تِلْكَ الْمَعْرَكَةَ الْأَخِيرَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ.

لَأَنِّي سَأَسْمُو وَأَنْتِ يَا صَغِيرَتِي سَتُكَبِّلِينَ بَوِزِرِ إِمْتِصَاصِ رُوحِي.

كَمْ سَيَكُونُ جَمِيلاً رُؤْيَا وَجْهَكَ الشَّاحِبِ وَأَنْتِ تَرْقُبِينَ صُغُودِي

السَّمَاوِيِّ الْبَهِيِّ؟

(٢٠)

فَقَدْتُ كُلَّ الْمَوْجُودَاتِ مَعَانِيهَا مِنْذُ رَحِيلِكَ يَا حَبِيبَتِي، بَلْ الْأُخْرَى أَنْ

أَقُولَ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا بَدَأَتْ تَخْتَفِي تَدْرِيحِيًّا بَعْدَ أَنْ غَادَرَتْهَا الْمَعَانِي

الَّتِي تَصِفُهَا وَتَحْدُدُ مَا هِيَ تَهَا.

أَشَاهِدُ كُلَّ حِينٍ مَوْجُودًا يَخْتَفِي بَعْدَ حِينٍ حَتَّى لَا يُبْقَى لَهُ أَثَرٌ يَذْكُرُ وَلَا  
حَتَّى فِي ذَاكِرَتِي لِأَقُولَ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ كُوبٌ مِنَ الشَّايِ عَلَى هَذِهِ  
الطَّاولَةِ!

حَتَّى تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الصَّغِيرَةِ التَّافِهَةِ، بَدَأْتُ تَخْتَفِي شَيْئًا فَشَيْئًا.

ذَاكِرَتِي أَيْضًا يَرْحَلُ مِنْهَا كُلُّ حِينٍ سَطْرًا أَوْ سَطْرَيْنِ، وَالْآنَ أَصْبَحْتُ  
ذَاكِرَتِي تُهَرَّبُ بَعِيدًا عَنِّي فَقَرَاتٍ ثُمَّ صَفَحَاتٍ، سَتَتَحَوَّلُ ذَاكِرَتِي بَعْدَ حِينٍ  
إِلَى اللِّذَاكِرَةِ، صَفْحَةٌ بَيَضَاءُ لَمْ يُخَطَّ فِيهَا حَرْفٌ.

أَخَشَى أَنْ أَنْسَى يَوْمًا أَسْمَى وَمُحَلِّ عَمَلِيَّ وَبَيْتِي، سَأَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ  
وَكُلَّمَا نَسِيتُ وَفَقَدْتُ الْأَشْيَاءَ مَعْنَاهَا تَبَخَّرْتُ، سَأَسْبَحُ عَمَّا قَلِيلٍ فِي  
السَّدِيمِ، حَيْثُ لَا يَحْدَهُ حُدُودٌ وَلَا بَدَايَةَ أَوْ نِهَايَةَ تُنْهِي أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي  
يَا حَبِيبَتِي.

نَسِيتُ مِفْتَاحَ سَيَّارَتِي صَبَاحَ الْأَمْسِ وَلَكِنَّ تَذَكَّرْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنِّي لَمْ  
أَفْقِدْهَا وَلَكِنَّهَا تَبَخَّرَتْ هِيَ الْأُخْرَى بَعْدَ أَنْ فَقَدْتُ مَعْنَاهَا.

أَصْبَحْتُ أُدَوِّنُ مَعَانِيَ الْأَشْيَاءِ وَأُلْصِقُهَا بِكُلِّ الْمَوْجُودَاتِ حَتَّى لَا تَتَبَخَّرَ  
وَلَكِنَّ بَعْدَ حِينٍ تَسْقُطُ الْوَرَقَةُ الَّتِي أُلْصَقْتُهَا بِالْأَشْيَاءِ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ ثَمَّ  
يَتَبَخَّرُ هَذَا الشَّيْءُ.

هَذَا هُوَ هَاجِسِي الْجَدِيدِ الَّذِي تَحَوَّلَ إِلَى كَابُوسٍ يُطَارِدُنِي.  
أَنْتَظِرُ الْيَوْمَ الَّذِي سَأَسْتَيْقِظُ فِيهِ لِأَجْدَنِي أَفْتَرِشَ بِلَاطِ الْغُرْفَةِ لِأَنَّ  
الْفِرَاشَ فَقَدْ مُعْنَاهُ فِي ذَاكِرَتِي فَتَبَخَّرَ هُوَ الْآخِرُ.  
لِمَاذَا يَفْعَلُ فِي رَحِيلِكَ كُلُّ هَذَا يَا حَبِيبَتِي؟

أَرْجُو مِنْكَ قَلِيلًا مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ لَتَكُنْ هَذَنَ مُوقَّتَةً أَلْمَمَ فِيهَا نَفْسِي  
وَأَتَنَفَّسُ فِيهَا بَعْضُ الْهَوَاءِ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَفْقِدَ مَعْنَاهُ هُوَ الْآخِرُ.

حَبِيبَتِي، لَا أُرِيدُ أَنْ أُمُوتَ مُحْتَبِقًا مِنْ فَقْدِ الْهَوَاءِ لِمَعْنَاهُ، يُمَكِّنُكَ أَنْ  
تُهْدِيَنِي إِلَى حُلُولِ وَسْطِي لِكَيْ لَا يَنْتَهِيَ بِي الْأَمْرُ فِي السَّدِيمِ.

لَيْسَ الْخَوْفُ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَلَكِنَّ الْخَوْفَ...

كُلُّ الْخَوْفِ مِنْ أَنْتِظَارِ الْأَشْيَاءِ!



يَجِبُ أَنْ تُطَارِدَنَا بَعْضُ الْأَمَالِ أَوْ الْهَوَاجِسُ يَا حَبِيبَتِي حَتَّى نَبْقَى عَلَى  
قَيْدِ الْحَيَاةِ أَمَّا أَنْ لَا يُطَارِدَنَا شَيْءٌ فَهَذَا هُوَ أَكْبَرُ كَابُوسٍ يُمَكِّنُ أَنْ  
يُلَاحِقَتَنِي.

حَتَّى فِي مَوْتِنَا الدُّنْيَوِيِّ يَا صَغِيرَتِي نَنْتَقِلُ إِلَى حَيَاةٍ أُخْرَى، بِوَابَةٍ  
مَجْهُولَةٍ تُفْتَحُ عَلَى حَيَاةٍ أُخْرَى، وَلَكِنَّ فِي هَذَا السَّيِّدِ، لَا تَوْجَدُ بَوَابَاتٍ  
وَلَكِنَّهُ فَقَطُ الْفَرَاغِ...

الْعَدَمُ...

اللاشيء..

لَا تَتْرُكِينِي أَهْوِي إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ الْمُرْعَبِ، اجْعَلِي مِنْ وَجْعِي قِيَمَةً  
يُمْكِنُ أَنْ أَكْتَسِبَهَا فِي لَحَظَاتِ أَلَمِي وَحُزْنِي الشَّدِيدِ، أَمَّا وَجَعُ الْلاشيءِ  
وَالسُّكُونِ النَّامِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تُكُونَ هَذِهِ وَسِيلَتُكَ لِلإِنْتِقَامِ أَوْ التَّسْلِي  
بِوَجْعِي وَآلَمِي وَلَكِنَّهَا وَسِيلَةٌ رَخِيصَةٌ بِشِعَّةٍ لِلإِنْتِقَامِ مِنِّي.

إِنْتِقَامٌ لَا يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ أَيَّ مُبَرِّرٍ لِأَنْ يَكُونَ بِهَذِهِ الْقَسْوَةِ.

تُوقِفِي رَجَاءً عَنِ مُمَارَسَةِ هَذِهِ اللَّعْبَةِ السَّخِيفَةِ لِأَنَّ آخِرَ هَذِهِ الْمُمَارَسَةِ  
السَّيِّئَةِ مَصِيرٌ مُظْلِمٌ لِلْغَايَةِ.

الْيَوْمُ وَقَدْ أَشْرَفَ الْمَسَاءُ سَأَكْتُبُ لَكَ رِسَالَتِي هَذِهِ أَرْجُوكِ فِيهَا بِكُلِّ ذُلٍّ  
وَحُضُوعٍ وَخُشُوعٍ أَنْ تَتَوَقَّفِي عَنِ مُمَارَسَةِ هَذِهِ اللَّعْبَةِ وَأَنْ تَرْحَمِينِي  
مِنْ مَصِيرٍ كَهَذَا، لِأَنِّي لَوْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ الْآنَ سَأَنْسَى الْأَمْرَ تَمَامًا حَتَّى  
يَتَبَخَّرَ بَعْدَ خُلُوهٍ مِنَ الْهَدَفِ وَالْمَعْنَى.

(٢١)

بَاتَ مُوَكَّدًا بِالنِّسْبَةِ لِي عَلَى الْأَقْلَ أَنَّ هَذِهِ خَاطِرَتِي الْأَخِيرَةُ لَكَ.  
مَرَّتْ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ الْآنَ، يُمَكِّنُنِي الْقَوْلُ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ ثَلَاثَةَ شُهُورٍ مَرُّوا  
عَلَيَّ حِينَمَا قَرَّرْتُ الرَّحِيلَ مِنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ.  
لَا أَفْضَلِيَّةَ لِهَذِهِ الْمُدَّةِ الزَّمَنِيَّةِ عَلَى الْأَزْمَانِ الْأُخْرَى سِوَى أَنَّنِي تَخَلَّصْتُ  
تَقْرِيْبًا مِنْ إِرْتِكَ الثَّقِيلِ جَدًّا.

قَدْ تُصِيبُنِي عَلَى فتراتٍ مُتَبَاعِدَةٍ بَعْضُ الْإِنْتِكَاسَاتِ وَلَكِنَّهَا تَظَلُّ الْفَتْرَةَ  
الزَّمَنِيَّةَ الْأَفْضَلَ لِي مُنْذُ رَحِيلِكَ لِأَنِّي وَبِشْكَلٍ رَائِعٍ أَصْبَحْتُ لَا أَحْلُمُ  
تَمَامًا.

لَمْ تُعِدْ تُطَارِدُنِي أَيَّ هَوَاجِسَ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ.

مِيزَةُ الْأَفْضَلِيَّةِ هُنَا أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ مَرَّتْ بِرُوتِينِيَّةٍ حَيَاتِيَّةٍ تَامَّةٍ يَنْفِرُ مِنْهَا  
أَيُّ إِنْسَانٍ سِوَيِّ وَأَجَدَهَا مُعْجَزَتِي الْكُبْرَى الَّتِي رَبَّتْ عَلَى رُوحِي  
فَأَخْرَجَتْ مَا بِهَا مِنْ عِلٍّ.

كَانَتْ عَلَيَّ النَّفْسِيَّةُ تُغَادِرُنِي الْوَاحِدَةَ تَلُو الْأُخْرَى كُلَّ يَوْمٍ بِدُونِ وَدَاعٍ  
أَوْ جَلَبَةٍ بَلْ تُغَادِرُ مِنْ فَرَطِ الْمَلَلِ وَالرُّوتِينِيَّةِ الَّتِي غَرِقْتُ فِيهَا.

تَأْبَى الْوُجُودَ فِي ظِلِّ عَقْلٍ خَاوٍ مِنْ كُلِّ الْأَفْكَارِ وَالْخِيَالَاتِ.

عَقْلٌ لَمْ يَعُدْ يُفَكِّرُ إِلَّا فِي اللَّاشِيءِ بِكُلِّ تَرْكِيزٍ وَهَمَّةٍ وَنَشَاطٍ.

كُنْتُ أَشْهَدُ عَلَى مَدَارِ الثَّلَاثَةِ شُهُورَ خُرُوجِ عَلَيَّ تِبَاعًا وَهِيَ تَسُبُّنِي  
وَتَلْعَنُ!

كُنْتُ أَبْتَسِمُ وَأَنَا أَشَاهِدُ ذَلِكَ الْخُرُوجَ الْيَوْمِيَّ الْخَالِيَّ مِنْ أَيِّ دِرَامَا.

فَقَطُّ أَضْحَكُ كُلَّمَا صَفَقَتْ عَلَيَّ مِنْ عَلَيِّ الْبَابِ خَلْفَهَا وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا  
لِلْخُرُوجِ.

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَكْتُبُ خَاطِرَتِي إِلَيْكَ بِوَعْيٍ كَامِلٍ، بِعَقْلَانِيَّةٍ تَامَّةٍ لَا يَشُوبُهَا أَثَرُ  
لِخَيَالٍ أَوْ شُبْهَةٍ عَاطِفَةٍ.

أَشْعُرُ بِعَقْلَانِيَّتِي فِي كِتَابَةِ خَاطِرَتِي الْأَخِيرَةِ كَقَذَائِفَ مَدْفَعِيَّةٍ تُحْدِثُ دَوِيًّا  
صَاحِبًا مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ أَسْطُرَهَا عَلَى وَرَقِي هَذَا.

أَمَارِسُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ الْمُمَلَّةِ، الْمُفَرَّطَةِ فِي الْمَلَلِ، الْمُشَبَّعَةَ بِرُوتِينِيَّةٍ بَالِغَةٍ  
بِسَعَادَةٍ جَمَّةٍ.

بَدَأْتُ عَلَى نَحْوِ جَيِّدٍ أَسْتَعِيدُ حَيَاتِي السَّابِقَةَ لِرَحِيلِكَ، الْخَالِيَّةَ مِنْ أَيِّ  
هَلَاوُسٍ وَالزَّاخِرَةِ بِكُلِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُمَارِسَهُ أَيُّ إِنْسَانٍ عَادِي.

إِنْسَانٍ لَيْسَ مَحَوَّرًا لِأَيِّ أُسْطُورَةٍ أَوْ أَحْدَاثٍ سَاخِنَةٍ، فَقَطُّ حَيَاةً رُوتِينِيَّةً  
إِعْتِيَادِيَّةً يُمَارِسُهَا مَلَيَارَاتٌ مِنَ الْبَشَرِ عَلَى ظَهْرِ هَذَا الْكَوْكَبِ.

المَوْضُوعِيَّةُ الَّتِي تُغْلَفُ خَاطِرَتِي الْأَخِيرَةَ إِلَيْكَ تَشْعُرُنِي بِسَعَادَةٍ بَالِغَةٍ،  
خُلُوْ كَلِمَاتِي حَتَّى الْآنَ مِنْ أَيِّ تَغْيِيرَاتٍ حَالِمَةٍ أَوْ تَشْبِيهَاتٍ أَوْ صُورٍ أَوْ  
اسْتِعَارَاتٍ، هِيَ تُمَثِّلُ الْآنَ أَسْعَدَ لَحَظَاتٍ حَيَاتِي.

لَقَدْ بَدَأْتُ أَسْتَعِيدُ نَفْسِي أَخِيرًا، التَّخَلُّصُ مِنْكَ كَانَ السَّبِيلَ الْوَحِيدَ إِلَى  
نَجَاتِي مِنْ هُوَّةٍ مُظْلِمَةٍ كُنْتُ تَدْفَعِينِي إِلَيْهَا دَفْعًا.

وَسَأَكُونُ مُسْتَعِدًّا بِشَكْلِ جَيِّدٍ لِاسْتِقْبَالِ أَيِّ انْتِكَاسَاتٍ مُحْتَمَلَةٍ وَهَذَا لِأَنِّي  
أَعُودُ تَدْرِيجِيًّا لِكُونِي شَخْصًا طَبِيعِيًّا.

فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ أُرْتَدَيْتُ مَلَابِسُ كِلَاسِيكِيَّةٍ تَنَاسُبُ زِيَارَةِ الْمَقَابِرِ.

وَقَفْتُ أَمَامَ قَبْرِكَ وَاجِمًا وَذَرَفْتُ عَدَدًا مَحْدُودًا مِنَ الدُّمُوعِ الصَّامِتَةِ كَأَنِّي  
إِنْسَانٌ طَبِيعِيٌّ وَقَرَأْتُ الْفَاتِحَةَ ثُمَّ مَضَيْتُ فِي صَمْتٍ بَعْدَ أَنْ نَاوَلْتُ ذَلِكَ  
الْكَهْلَ بَضْعَةً جُنَيْهَاتٍ وَأَوْصِيته بِأَنْ يَرْوِيَ نَبَاتَ الصَّبَّارِ!

لَمْ يَكُنْ الْهَدَفُ التَّخَلُّصَ مِنْ ذِكْرَاكِ أَبَدًا، فَعَلَى نَحْوِ أَكِيدٍ سَتَظَلُّ ذِكْرَاكِ  
تُرَافِقُنِي حَتَّى الْمَمَاتِ وَلَكِنَّ بَعِيدًا عَنِ الْهَلَاوُسِ وَالْخِيَالَاتِ الْمُرْهَقَةِ

لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ، سَأَسْتَعِيدُهَا فِي لَحَظَاتِ حَزِينَةٍ خَاصَّةٍ وَأَجْتَرُّهَا بِحُزْنٍ  
أَكِيدُ وَسَتَمُضِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ وَسَأَسْتَأْنِفُ حَيَاتِي بِشَكْلِ طَبِيعِي جِدًّا.

هَذَا حَقًّا مَا أَصَبُوا إِلَيْهِ وَأَرْجُو أَلَّا يُغْضِبَكَ هَذَا.

فَطَيْفُكَ وَزِيَارَاتِهِ الْمُتَكَرِّرَةُ لَمْ يُعِدْ شَيْئًا مُحَبَّبًا إِلَى نَفْسِي وَلَمْ أُعِدْ أَصَبُوا  
إِلَيْهِ، وَلَا أُرِيدُكَ أَنْ تَزُورِنِي فِي أَحْلَامِي وَتُقَلِّبِيهَا رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ.

بَلْ عَلَى نَحْوِ أَكْثَرِ دِقَّةٍ لَا أُرِيدُ أَنْ أَحْلُمَ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، فَقَطْ سَيُسْعِدُنِي جِدًّا  
شَاشَةٌ سَوْدَاءُ تَطْغَى عَلَى كُلِّ أَحْلَامِي فَاسْتَيْقِظْ بِذَاكِرَةِ نَاصِعَةِ الْبَيَاضِ  
لَا تَشُوبُهَا شَائِبَةٌ.

فَاعِدُّ قَهْوَتِي فِي هُدُوءٍ دُونَ إِضْطِرَابٍ وَأَدْخِنْ سِجَارَتِي بِسَكِينَةٍ تَامَّةٍ،  
ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الْعَمَلِ وَلَا أَلْمَمُ مِنْ أَعْيُنِ الزَّمَلَاءِ نَظَرَاتِ الْإِشْفَاقِ  
وَالْعَطْفِ وَالْأَسَفِ السَّخِيفِ.

لَنْ تَهْمِسِي فِي أُذُنِي مَرَّةً أُخْرَى حِينَمَا أَغْفُو لِأَنْتَبِهَ بِتَوَثُّرٍ شَدِيدٍ، اِلْتَفَتْتُ  
حَوْلِي بَحْثًا عَنْكَ.

لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنِّي أُمَزَّقُ كُلَّ مَا يَرْبُطُنِي بِكَ يَا صَغِيرَتِي، أَنَا لَا أَحْرُقُ  
كُلَّ مَاضِينَا الْجَمِيلِ وَالسَّيِّئِ فِي بَعْضِ ثَنَائِهِ وَلَكِنِّي أَحَافِظُ عَلَيْهِ مَنْ أَنْ  
يُخَالِطَهُ أَيُّ قَدَرٍ مِنَ الْهَلُوسَةِ أَوْ اللَّوْثَةِ.

أُرِيدُهُ كَمَا هُوَ نَقِيًّا جَمِيلًا طَبِيعِيًّا، لِأَنَّ هَذَا أَجْمَلُ مَا يُزَيِّنُهُ، كَوْنُهَا  
ذِكْرِيَّاتٌ عَادِيَّةٌ تَحْدُثُ لِمَلَيَّاتِ الْبَشَرِ بِدُونِ أَيِّ قَدَرٍ مِنْ أُسْطَرَةٍ أَوْ  
مِرْوَاغَاتٍ فَاَنْتَازِيَّةٍ تُعَكِّرُ هَذِهِ الْمَسَاحَةَ الطَّيِّبَةَ مِنْ ذِكْرِيَّاتِنَا سَوِيًّا.

سَأُطَالِعُ صُورَكَ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخِرِ وَأَبْتَسِمُ ثُمَّ يَصْفَعُنِي الْحَزَنُ عَلَى  
شَفَتِي وَسِيرَتَبُكَ الْمَشْهُدُ أَمَامِي أَحْيَانًا عِنْدَمَا تَتَرَاقَصُ الدُّمُوعُ فِي  
عَيْنِي.

أَتَقَبَّلُ أَنْ يَحْدُثَ كُلُّ هَذَا لِأَنَّهَا مِنْ الشَّوَاهِدِ الطَّبِيعِيَّةِ لِحَيَاةِ أَيِّ إِنْسَانٍ  
وَلَكِنِّي لَا أُرِيدُ أَيَّ مُبَالَغَاتٍ حَوْلَ هَذَا الْأَمْرِ، أُرِيدُهُ أَنْ يَمُرَّ بِسَلَامٍ  
وَسَلَاسَةٍ تَامَةٍ فَقَطْ.

سَأَتَرَحَّمُ عَلَيْكَ كَثِيرًا وَسَأُخْرِجُ الصَّدَقَاتِ بِاسْتِمْرَارٍ لِكُلِّ مَنْ يَسْأَلُ وَيَمْدُ  
لِي يَدًا، سَأَكُونُ رَقِيقًا غَيْرَ فَظٍّ الْقَلْبِ اتِّجَاهَهُ هُوَ لَا تَكْرِيمًا لِرَحِيلِكَ، هَذِهِ

كُلُّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ أُرِيدَ أَنْ أُمَارِسَهَا كَمَا هِيَ فَلَا تَضِنِّي عَلَيَّ بِمَا هُوَ حَقًّا  
لِي كَانِسَانٍ عَادَى لَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَحَوَّرًا لِأَيِّ أُسْطُورَةٍ أَوْ دِرَامَا مُبَالِغٍ  
فِيهَا.

أُرِيدُ فَقَطْ أَنْ أَحْيَا حَيَاتِي بِسَلَامٍ وَهُدُوءٍ، لَيْسَ هَذَا بِالْأَمْرِ الْكَثِيرِ  
صَدِّقْنِي.

كُنْتُ عَلَى شَفَا الْجُنُونِ وَيَدٌ مَا أَوْ رَبَّمَا عِدَّةُ أَيَادٍ اِمْتَدَّتْ فِي لَحْظَةٍ  
فَاصِلَةٍ، كَانَتْ تَفْصِلُ بَيْنَ مَا تَبْقَى مِنْ عَقْلِي حَيًّا يُرْزَقُ وَبَيْنَ جُنُونٍ  
كَامِلٍ أَنَا مُشْرِفٌ عَلَيْهِ، اجْتَذَبْتَنِي تِلْكَ الْأَيْدِي بَعِيدًا عَنْ تِلْكَ الْهُوَّةِ وَمِنْ  
ثُمَّ دَفَعْتَنِي بِقُوَّةٍ فِي ظَهْرِي لِأَعْبَرَ بَيْنَ عَالَمَيْنِ.

كَانَتْ الدَّفْعَةُ مُؤْلِمَةً بِقَدْرِ مَا كَانَتْ تُمَثِّلُ زَلْزَالًا اِنْتَرَعَنِي مِنْ نَوْمٍ عَمِيقٍ  
تَعَرَّقْتُ فِيهِ بِشِدَّةٍ، لِأَلْتَقِطَ أَنْفَاسِي بِصُعُوبَةٍ بَالِغَةٍ حَتَّى هَذَا صَدْرِي الَّذِي  
ظَلَّ يَغْلُو وَيَهْبُطُ لِدَقَائِقٍ.. طَالَعْتُ وَجْهِي فِي الْمِرَاةِ فَكَانَنِي أُطَالِعُ  
الشَّخْصَ الَّذِي كُنْتُ قَبْلَ رَحِيلِكَ وَلَكِنِّي فِي ذَاتِ الْوَقْتِ شَعَرْتُ بِأَثَارِ



رَحْلَةً طَوِيلَةً شَاقَّةً مُضْنِيَّةً سَكَنْتُ بَيْنَ تَجَاعِيدَ ظَهَرْتُ بَيْنَ عَشِيَّةٍ  
وَضُحَاهَا!

مَنْ أَثَرُ مَشَقَّةِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ، تَبَدَّلَ الْكَثِيرُ مِنْ مَلَامِحِي، أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ  
نُحُولًا، وَهَالَةً سَوْدَاءَ تَرَسُّمِ حُدُودِ عَيْنِي وَلَكِنِّي بِشَكْلِ مَرَضِيٍّ اسْتَعَدْتُ  
مَلَامِحِي الْقَدِيمَةَ، اسْتَعَدْتُهَا مِنْ خِلَالِ وَهَجِ ظَهَرٍ سَرِيعًا فِي عَيْنِي ثُمَّ  
خُبِي مَرَّةً أُخْرَى.

وَلَكِنِّي اسْتَطَعْتُ الْإِمْسَاكَ بِهَذَا الْوَهَجِ لِأَتَأَكَّدَ أَنَّي عُدْتُ كَمَا كُنْتُ قَبْلَ  
رَحِيلِكَ.

سَتَكُونُ خَاطِرَتِي هَذِهِ أَطْوَلَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي أُرْسِلُهَا إِلَيْكَ وَلَيْسَ هَذَا هُوَ  
الْفَارِقُ الْوَحِيدُ بَيْنَ خَاطِرَتِي الْأَخِيرَةِ هَذِهِ وَكُلِّ مَا قَبْلَهَا وَلَكِنَّ الْفَارِقَ  
الْأَهَمُّ: أَنِّي أُرْسَلْتُ لَكَ كُلِّ مَا سَبَقَ مِنْ عَالَمٍ آخِرٍ وَالْيَوْمَ أُرْسِلُ لَكَ هَذِهِ  
الْخَاطِرَةَ مِنْ عَالَمِنَا الَّذِي كُنَّا نَحْيَاهُ قَبْلَ رَحِيلِكَ.

قَدْ تَكُونُ الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ صَفْرِيَّةً وَلَكِنَّ صَدِّقِي، لَقَدْ كَانَتْ رَحْلَةً  
طَوِيلَةً مُجْهِدَةً مُضْنِيَّةً، بَدَتْ طَوِيلَةً جِدًّا بِلَا نِهَايَةٍ.

لَا أَعْلَمُ إِذَا كَانَتْ خَوَاطِرِي السَّابِقَةَ وَهَذِهِ وَصَلْتُ إِلَيْكَ أَمْ لَا وَحَقِيقَةً لَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ فَلَمْ يُعِدْ يَعْتَرِينِي أَيُّ فُضُولٍ وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ وَصَلْتُ إِلَيْكَ فَهِيَ تَبْتُ لَكَ رِسَالَتَيْنِ.

الرَّسَالَةُ الْأُولَى: كَمْ كُنْتُ عَلَى بُعْدِ خُطْوَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ رُبَّمَا أَقَلُّ مِنَ الْوُلُوجِ إِلَى عَالَمٍ مُظْلَمٍ وَبَيْنَ عَالَمِنَا الَّذِي عُدْتُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ أَتِمَّ هَذِهِ الْخُطْوَةَ الْأَخِيرَةَ فَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الرَّسَالَةَ سَتُسْعِدُكَ كَثِيرًا وَتُسْغِظُكَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ.

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَخَيَّلَ مَلَامِحَكَ الْغَاضِبَةَ وَأَنْتَ تَطَوِّحِينَ بِرِسَالَتِي الْأَخِيرَةِ وَتُشْعِلِينَ فِيهَا النَّارَ بَلْ تَشْتَعِلِي أَنْتِ كَلْسَانَ لَهَبٍ يَضْرِبُ عَنَانَ السَّمَاءِ. أَتَفْهَمُ ذَلِكَ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَشْهَدَهُ فَيَكْفِي أُنِّي تَخَيَّلْتُهُ بِشَكْلِ جَيِّدٍ.

وَالرَّسَالَةُ الثَّانِيَةُ هُوَ وَعَيْكَ الْكَامِلُ بِكَمْ لَوْعَتِي وَفَزَعِي مُنْذُ رَحِيلِكَ الْمَفَاجِيءِ، كَيْفَ كَانَ سَيَقُودُنِي هَذَا الشُّعُورُ بِالْفَزَعِ وَاللَّوْعَةِ إِلَى جُنُونٍ كَامِلٍ؟، هَلْ يُجَسِّدُ هَذَا مِقْدَارَ الْحُبِّ الَّذِي أَكْنُهُ لَكَ؟ أَمْ عَقْلَانِيَّةُ الْخَاطِرَةِ الْأَخِيرَةُ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَغَيِّبَ هَذَا الْمِقْدَارَ الْعَظِيمَ مِنَ الْحُبِّ.

إِعْتَقَدَ أَنَّهُ فِي فَوْرَةِ غَضَبِكَ سَيَغِيبُ عَنْكَ مِقْدَارُ حُبِّي لَكَ، لَا بَأْسَ وَلَكِنَّ  
عِنْدَمَا تَنْطَفِئُ جَذْوَةُ النَّارِ الْمُتَقَدَّةِ بِأَطْرَافِكَ وَتَخْبُو تَمَامًا وَتَجْلِسِينَ  
لِلْحَظَاتِ تَنْظُرِينَ إِلَى تِلْكَ السَّمَاءِ اللَّازُورِدِيَةِ تَتَّبِعِينَ نُجُومًا لَامِعَةً فِي  
نَهَارٍ لَامِعٍ، حَيْثُ أَنَّ الْبَيْئَةَ الْفَانْتَازِيَّةَ الَّتِي تَسْبَحِينَ فِيهَا تُبِيحُ كُلَّ مَا هُوَ  
لَا مُنْطَقِي، سَتُدْرِكِينَ كَمْ كُنْتَ أَحَبُّكَ.

ولازلت.

مُوقِنٌ أَنَّهُ فِي وَقْتٍ مَا بَعْدَ أَنْ تَهْدَأَ ثَائِرَتُكَ أَنَّكَ سَتَتَزَيَّنِينَ بِكُلِّ خَوَاطِرِي  
وَتُشَكِّلِينَ مِنْهَا فُسْتَانًا رَائِعًا مُرَصَّعًا بِحُبِّي لَكَ وَسَتُبَاهِينَ بِهِ كُلَّ النِّسَاءِ  
مِنْ حَوْلِكَ.

سَيَحْسُدُونَكَ حَتْمًا عَلَى حُبِّي الشَّدِيدِ لَكَ، وَسَيَصْبُونُ مُسْتَقْبَلًا لِمِزَارَتِي  
الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ لِعَالَمِكَ الْفَانْتَازِي هَذَا.

مَنْ مِنَّا لَنْ يَزُورَ هَذَا الْعَالَمَ حِينَ مَوْتِهِ، سَنَزُورُهُ كُلُّنَا وَسَأَحْرِصُ عَلَى  
أَنْ أُحْضِرُ بَاقَةَ رَائِعَةٍ مِنَ الزُّهُورِ أُهْدِيهَا لَكَ وَأَنَا جَائٍ عَلَى رُكْبَتَيَّ  
أَطْلُبُ مِنْكَ السَّمَاحَ وَالْغُفْرَانَ عَلَى إِثْمٍ لَمْ ارْتَكِبْهُ.

وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ بَقِيَّةٌ مِنَ الْغَضَبِ سَتَصْبِيْنَهَا عَلَيَّ حَتْمًا حِينَمَا  
أَزُورُكَ مُسْتَقْبَلًا، رُبَّمَا لِتَأْخُرِي فِي الزِّيَارَةِ الْحَثِمِيَّةِ أَوْ لِأَنِّي عُدْتُ إِلَى  
عَقْلِي فِي لَحْظَةٍ فَاصِلَةٍ.

صَدَّقْنِي لَوْ كُنْتَ إِنْدَفَعْتَ بِكُلِّ كَيَانِي إِلَى هَذَا الْعَالَمِ وَقَتَّمَا يَحِينُ مَوْعِدُ  
زِيَارَتِي لَكَ سَأَكُونُ ذَاهِلًا عَنْ هَذَا الْعَالَمِ الْفَانِتَازِي وَعَنْكَ شَخْصِيًّا،  
سَأَكُونُ وَقْتُهَا مَزْرُوعًا بِكُلِّ الْخِيَالَاتِ الْمُفْزَعَةِ الْقَاتِمَةِ الَّتِي سَتُطَارِدُنِي  
كَشَيَاطِينٍ مُشْتَعَلَةٍ تُلْهَبُنِي بِسَيَاطِهَا، تَمْرُقُ بَيْنَ خَلَايَا مُخِي لِتَزِيدَ مِنْ  
خَرَابِهَا.

لَنْ تَكُونِي وَقْتُهَا سَعِيدَةً بِمَا سَيُؤَوِّلُ إِلَيْهِ حَالِي، صِدْقًا كُنْتَ سَتَكْرَهِينِي  
وَقْتُهَا جَدًّا.

لَقَدْ اسْتَعَدْتُ وَعَيِي مِنْ أَجْلِكَ أَنْتِ، فَقَطُّ لِأَكُونُ بِهِيَا مُضِيًّا مُتَوَهِّجًا، كَمَا  
تُحِبِّينَ أَنْ تَرِينِي حِينَمَا يَحِينُ مَوْعِدُ زِيَارَتِي.

سَيَكُونُ إِرْتِبَاطُنَا وَقْتُهَا أَبَدِيًّا، سَنُمَارِسُ كُلَّ مَا أَمَكَّنَنَا أَنْ يَصِلَ بِهِ  
خَيَالِنَا، سَنَسْبَحُ بَيْنَ حَبَّاتِ النُّورِ وَبَيْنَ فَرَاشَتِكَ الْمُلوْنَةِ وَنَضْحِكَ كَثِيرًا.

تَقْرِيْبًا أَوْ رُبَّمَا أَكِيْدًا أَنَّنَا سَنَنْسَى أَيَّ أَثَرٍ لِلْحُزْنِ أَوْ الْغَضَبِ، أَعْتَقِدُ أَنَّ  
شُعُورَنَا الْبَالِغَ بِالسَّعَادَةِ سَيَكُونُ هُوَ الرَّفِيقُ الْوَحِيْدُ فِي رِحْلَتِنَا الْأَبْدِيَّةِ.

سَنَرَكِّبُ تِلْكَ الْأَخْصِنَةَ الْبُلُورِيَّةَ الَّتِي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ تَطِيرُ بِلا أَجْنَحَةٍ،  
هَلْ تُذَكِّرُنِي تِلْكَ الْأَخْصِنَةَ الزُّجَاجِيَّةَ الَّتِي كُنْتُ تَقْفِزِينَ طَرَبًا كَالْأَطْفَالِ  
عِنْدَمَا تُشَاهِدِينَا فِي وَاجِهَاتِ الْمَحَلَّاتِ!

سَتَعْدُو وَقْتُهَا حَقِيقِيَّةً بِالْكَامِلِ، وَأَيْضًا سَنَنْتَرَعُ عَدَدًا مِنَ النُّجُومِ فِي تِلْكَ  
السَّمَاءِ اللَّازُورْدِيَّةِ كَأَنَّهَا حَبَّاتُ الْبُرْتُقَالِ وَنَتَقَافِزُهَا ثُمَّ سَنَرْمِيهَا بَعِيدًا  
لِنَتَّبِعَ أَثَرَهَا الضَّوئِيَّ وَتِلْكَ الْأَخْصِنَةَ الْبُلُورِيَّةَ تَضْرِبُ بِقَوَائِمِهَا صَفْحَةَ  
السَّمَاءِ وَتُصْدِرُ دَوِيًّا وَصَخْبًا عَالِيًّا.

لَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي هَذَا الصَّوْتُ وَلَكِنَّنَا لَنْ نُبَالِيَ وَسَنَضْحَكُ كَثِيرًا،  
حَتَّى يَوْجَعَ الضَّحِكُ صُدُورَنَا وَلَكِنَّنَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ لَنْ نَتَوَقَّفَ عَنْ  
الضَّحِكِ وَسَنَسْتَمِرُّ نَقْفُوا أَثَارَ ذَلِكَ الضَّوِّ الْمُتَسَرِّبِ مِنْ تِلْكَ النُّجُومِ  
الرَّاحِضَةِ إِلَى اللَّامُنْتَهَى.

سَنَالُ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ فَوْقَ سَحَابَةٍ تَتَهَادَى بِتَوْدَةٍ عَلَى صَفْحَةِ السَّمَاءِ  
وَسَنَنَامُ كَثِيرًا حَتَّى يَغْلُو شَخِيرُنَا!

لِنَسْتَيْقِظَ فِي لَيْلٍ سَاحِرٍ وَالسَّحَابَةُ تَتَهَادَى نَحْوَ الْأَرْضِ لِنَنْزِلِقَ مِنْ فَوْقِ  
طَرَفِهَا بِمَرَحٍ طُفُولِي لِنَرْكُضَ عَلَى تِلْكَ الْأَرْضِ الْعُشْبِيَّةِ، وَالَّتِي سَنُلْحِظُ  
فِيهَا بَرِيقَ الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ عَلَى الرَّغَمِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ وَلَكِنَّ النُّورَ  
الْمُبْهَرُ سَيَخْتَرِقُ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ بِدُونِ أَنْ نَهْتَمَّ  
لِمَصْدَرِ هَذَا الضَّوِّءِ.

سَتَتَبَدَّلُ أَلْوَانُ الضَّوِّءِ بَيْنَ كُلِّ أَلْوَانٍ الطَّيِّفِ لِتَزِيدَ مِنْ حِمَاسَتِنَا الطُّفُولِيَّةِ  
وَنَحْنُ نَرْكُضُ.

سَنُخْتَبِرُ بِأَنْفُسِنَا كَيْفَ اسْتِطَعْنَا فِي لَحْظَةٍ جَهَنْمِيَّةٍ أَنْ نَسْمَعَ غِنَاءَ  
الْفَرَاشَاتِ رَغْمَ يَقِينِنَا أَنَّ فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا لَمْ نَسْمَعْ غِنَاءَ الْفَرَاشَاتِ أَبَدًا  
وَلَكِنَّا سَنَسْمَعُهُ عَذْبًا سَلِسًا رَقْرَاقًا كَمَا لَمْ نَعْهَدُهُ مِنْ قَبْلُ وَالْحَقُّ أَنَّنَا لَمْ  
نَعْهَدُهُ أَبَدًا وَلَكِنَّ سَنَحْمِلُ بِذَاكِرَةِ غَرِيبَةٍ افْتِرَاضِيَّةٍ تُخْبِرُنَا أَنَّ سَمِعْنَاهُ  
مِنْ قَبْلُ وَمَا نَسْمَعُهُ الْآنَ أَكْثَرَ عَذُوبَةً وَجَمَالًا.

سَنَقُومُ بَعْدَ جَرِينَا بِمُشَاكَسَةِ الْقَمَرِ وَسَنَقْذِفُهُ بِأَحْجَارٍ مُتَلَالِيَةٍ وَسَيُحَاوِلُ  
الْقَمَرُ أَنْ يَتَفَادَى ضَرْبَاتِنَا وَسَنَسْمَعُ صَوْتَ ضَحِكِهِ الصَّافِي حَتَّى يَمِلَّ  
مِنْ مُزَاحِنَا الطُّفُولِيِّ فَنَكْفَ عَنْ مِلءِ أَيْدِينَا بِتِلْكَ الْأَحْجَارِ الْمُتَلَالِيَةِ  
وَنَشْكُرُهُ عَلَى طَوْلِ صَبْرِهِ وَنَمْضِي فِي صَمْتٍ.

نَزْرَعُ أَصَابِعَنَا كَشَبَكَةَ عَنَكْبُوتِيَّةٍ تَلْتَفُّ بِبَعْضِهَا الْبَعْضُ وَنَسِيرُ بِهِدْوٍ  
نَحْوَ بُقْعَةِ الضَّوِّ الْبَادِيَّةِ عَلَى أَطْرَافِ اللَّاشِيءِ الْمُظْلَمِ.

سَنَقِفُ عِنْدَهَا لِتَسْحَبِنَا إِلَى أَعْلَى وَتُصْدِرُ صَوْتَ أَرِيْزِ الْمَصَاعِدِ فَنَبْتَسِمُ  
وَالْوَجَلَ يَتَلَاعَبُ بِنَا فَنَبْتَسِمُ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ تَتَّسِعُ أَعْيُنُنَا ثُمَّ نَضْحُكُ،  
سَنَمْضِي لِأَعْلَى بَعْضَ الْوَقْتِ فِي ذَلِكَ النَّفَقِ الضَّوِّيِّ حَتَّى نَصِلَ إِلَى  
مُنْتَهَاهُ حَيْثُ قِمَّةُ جَبَلِ الْوَرْدِ فَنَظُلُّ نَتَقَافِزُ بِجُنُونٍ فَوْقَ قِمَّتِهَا لِثِيرٍ مِنْ  
حَوْلِنَا أَوْرَاقَ الْوَرْدِ فَتَتَطَايَرُ مِنْ حَوْلِنَا وَنَرَكُلُهَا بِأَرْجُلِنَا فَتَزْدَادُ أَعْدَادُ  
الْوُرُودِ الْمُحَلِّقَةِ مِنْ حَوْلِنَا بِكُلِّ شَكْلِ وَلَوْنٍ.

سَنَقِفُ لِلْحِظَةِ نَتَأَمَّلُ تِلْكَ الْمَلَامِحَ الْمُجْهِدَةَ مِنَ الْمَرَحِ وَنُمْسِحُ عَرَقًا  
تَصِيبَ ثُمَّ نَنْظُرُ لِأَسْفَلِ أَقْدَامِنَا وَأَعْيُنُنَا تُلَمِّعُ بِجُنُونٍ طُفُولِيٍّ وَنُقَرِّرُ أَنْ

نُمَارِسَ ذَلِكَ الْفِعْلَ الْمَجْنُونُ، سَنَقْفِرُ فِي الْهَوَاءِ وَمِنْ ثَمَّ يَنْتَثِرُ جِذْعَنَا  
فِي الْهَوَاءِ عَلَى نَحْوِ أَكْرُوبَاتِي لَمْ نُمَارِسْهُ مِنْ قَبْلُ لِيُصْبِحَ رَأْسِينَا هُمَا  
رَأْسَ الْحَرْبَةِ الَّتِي تَغُوصُ فِي جَبَلِ الْوَرْدِ هَذَا وَنَظِلُّ نَغُوصُ فِيهِ وَنَسْبَحُ  
وَلَا نَخْتَنِقُ، نَسْتَنْشِقُ عَبِيرَهُ الْجَمِيلَ فَيَزِدَادُ حِمَاسِنَا لِلْغُوصِ أَكْثَرَ حَتَّى  
نَصِلَ إِلَى سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ حَيْثُ تَنْتَظِرُنَا حَفْلَةٌ مَسَائِيَّةٌ صَاحِبَةٌ، سَنَظِلُّ  
نَرْقُصُ فِيهَا بِجُنُونٍ وَنُسَكِّرُ بِغَيْرِ خَمَرٍ، وَنَضْحَكُ بِغَيْرِ سَبَبٍ.

وَسَنَشْبَعُ وَقْتَهَا بِغَيْرِ أَكْلِ.

سَيَحْدِثُ كُلُّ هَذَا فِي لَحَظَاتٍ كَأَنَّهَا مُشَاهِدٌ تَمَّ تَقْطِيعُهَا بِمَهَارَةٍ لِيَعْدُوا كُلُّ  
مَشْهَدٍ ثَانِيَةٍ وَاحِدَةً أَوْ ثَانِيَتَيْنِ وَيَتِمُّ تَرْكِيبُهُمَا بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ لِيَكُونُوا فِي  
النِّهَايَةِ مَشْهَدًا وَاحِدًا بَدِيعًا.

آه...

كَمَا تَرَيْنَ يَا حَبِيبَتِي هَا أَنَا أَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى لِلْهَذْيَانِ!

لَا بَأْسَ وَلَكِنَّهُ هَذْيَانُ أُمَارِسُهُ فِي ظِلِّ وَعْيٍ كَامِلٍ بِأَنَّهُ لَا يَعْدُو كَوْنُهُ  
هَذْيَانًا.



أَنْتَظِرُ بِصَبْرٍ أَوْشَكَ أَنْ يُنْفَدَ، أَنْ أُخْتَبِرَ بِكُلِّ سَعَادَةٍ مَلَامِحِ وَجْهِكَ  
الْمَذْهُولَةِ وَأَنْتِ ثُلُوحِينَ لِي بِخَاطِرَتِي الْأَخِيرَةِ فِي وَجْهِ وَتَسْأَلِينِي  
السُّوَالُ الَّذِي أَتَوَقَّعُهُ: كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ عَالَمِي فِيهِ كُلُّ هَذَا؟

حَقًّا لَمْ أَزُرْ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنِّي أَعْرِفُ عَنْهُ الْكَثِيرَ بِدُونِ أَنْ  
أُخْتَبِرَهُ، لِرُبَّمَا أَنْتِ مِنْ أَوْحَيْتِ إِلَيَّ بِكُلِّ هَذَا بِدُونِ وَعْيٍ مِنْكَ أَوْ مِنِّي.  
لِرُبَّمَا حَدَثَ هَذَا وَأَنَا أَقْتَرِبُ مِنْ عَالَمِ الْجُنُونِ بِخُطَى سَرِيعَةٍ، كَانَ هُنَاكَ  
خَيْطٌ مَا يَتَأَرَّجُ عَلَيْهِ كُلُّ هَذَا فَيَصِلُ إِلَى عُمُقِ قَلْبِي فَيَطْبَعُهُ عَقْلِي فِي  
ذَاكِرَتِهِ وَهَا أَنَا أَقْصُهُ عَلَيْكَ كَمَا وَصَلَنِي مِنْكَ.

فَلَا تَسْتَغْرِبِينَ وَلِتُمْسَحِي تَعَابِيرَ الدَّهْشَةِ عَنْ وَجْهِكَ الْجَمِيلِ وَدَعِينَا  
نُمَارِسُ كُلُّ مَا قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ.

الْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَدَيْنَا كُلُّ الْوَقْتِ بَلْ الْأُخْرَى أَنْ أَقُولَ لَدَيْنَا الْأَبَدِيَّةُ لِأَنَّ  
نُمَارِسَ هَذَا وَأَكْثَرَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ وَمَا يَفُوقُ خَيَالِي وَخَيَالِكَ وَمَا عَجَزَ ذَلِكَ  
الْخَيْطُ الْوَاصِلُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَالَمِكَ أَنْ يُنْبِئَنِي بِهِ وَلَكِنِّي عَلَى ثِقَةٍ تَامَةٍ  
بِأَنَّا سَنَسْتَمْتَعُ كَثِيرًا بِأَبَدِيَّتِنَا هَذِهِ.

أَتَسْأَلُ، هَلْ سَيَأْتِي يَوْمٌ وَسَنَمَلُّ فِيهِ كُلُّ هَذِهِ الْأَلَاغِيبِ السَّحَرِيَّةِ وَلَنْ  
يَبْقَى لَنَا سِوَى الْمَلِّ لِنَمْصِمَصَهُ؟

سَتُجِيبُنِي بِكُلِّ ثِقَةٍ وَقْتُهَا أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ لِلْوَقْتِ وُجُودٌ حَتَّى نَسْتَشْعِرَ  
الْمَلَّ، فَالْوَقْتُ هُوَ الَّذِي يَحْدُدُ لَحَظَاتِنَا، هُوَ الَّذِي يَرَسُمُ مَحَطَّاتِ عُمْرِنَا  
وَيَحْدُدُ لَنَا أَوْقَاتَ الْحُزْنِ وَالسَّعَادَةِ وَالسُّكُونِ، سَيُغْتَالُ الْوَقْتُ عَلَى بَوَابِهِ  
هَذَا الْعَالَمِ الْفَانِتَازِي.

سَيَنْزِفُ الْكَثِيرَ مِنَ الدَّقَائِقِ وَالثَّوَانِي وَالسَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ  
وَالسِّنِّينَ حَتَّى تُخَمِدَ جُبَّتُهُ تَمَامًا وَسَنَرَقُصُ حَوْلَهُ فِي جُنُونٍ ثُمَّ سَنَمْضِي  
سَرِيعًا لِنُمَارِسَ أَبْدِيَّتَنَا غَيْرَ أَبْهَيْنَ بِالْمَلِّ لِأَنَّهُ سَيَغْدُو شَبَحًا سَخِيفًا فَقَدْ  
مَعْنَاهُ بِمَوْتِ الْوَقْتِ.

سَنَتَنَاوَلُ حَتْمًا صُورِنَا الْجَامِدَةَ مِنَ الْأَلْبُومِ الَّذِي سَأَصْحَبُهُ مَعِيَ اسْتِعْدَادًا  
لِزِيَارَتِكَ، وَسَنَنْزِعُ شُخُوصِنَا مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ وَنَطُوحُهَا أَمَامَنَا لِتُعِيدَ  
تَمَثِيلَ لَحَظَاتِنَا السَّعِيدَةِ وَسَنُصَفِّقُ لَهَا فَرَحَيْنِ فِي نَشْوَةِ التَّذَكُّرِ لِهَذِهِ  
اللَّحَظَاتِ، لَنْ تَكُونَ هُنَاكَ صُورٌ حَزِينَةٌ لِأَنَّنَا نَهْفُو لِتَسْجِيلِ لَحَظَاتِنَا

السَّعِيدَةِ فَقَطْ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَتْ الصُّورَةُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ حِينَ يُغْرِقُنَا  
الْحُزْنَ سَنَنْسَى تِلْكَ اللَّحَظَاتِ السَّعِيدَةَ الْقَلِيلَةَ وَحَتْمًا سَتَذَكِّرُنَا الصُّورُ  
بِهَا.

لِذَلِكَ نَحْنُ نُحِبُّ تِلْكَ الصُّورَ الَّتِي تَحْمِي ذَاكِرَتَنَا مِنَ النَّسْيَانِ.

سَأَزْرَعُ هَذِهِ الْخَاطِرَةَ الْأَخِيرَةَ فِي نَبَاتِ الصَّبَّارِ لِيَرْوِيَهَا ذَلِكَ الْكَهْلُ كُلَّمَا  
تَذَكَّرَ فَتَضْرِبُ بِجُذُورِهَا فِي الْأَرْضِ لَعَلَّهَا تَصِلُ إِلَى رُوحِكَ فَتَكُونُ الْحَبْلُ  
السَّرِّيُّ الَّذِي سَيَرْبُطُ بَيْنَ رُوحَيْنَا.

أُودِّعُكَ الْآنَ، وَدَاعًا مُؤَقَّتًا، وَإِنْ طَالَ هَذَا الْوَدَاعُ فَإِنَّهُ فَوْرَ اللَّقَاءِ لَنْ  
نَتَذَكَّرُ طُولَ الْوَدَاعِ؛ سَنَخْتَرِلُهُ فِي سَطْرِ وَاحِدٍ مِنْ ذَاكِرَتِنَا وَكَأَنَّهُ مَرَّ  
سَرِيعًا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ طُولِ سَنَوَاتِ الْوَدَاعِ، سَنَتَذَكَّرُهُ وَقْتُهَا كَسَاعَةٍ مِنْ  
زَمَنِ لَيْسَ إِلَّا.

سَلَامًا لِرُوحِكَ الطَّاهِرَةِ وَلِرُوحِي بَعْضُ السَّلَامِ.

القاهرة: ٢٠١٨/١٠/٢٨

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم كاملاً : مروان محمد عبده أحمد إبراهيم

الجنسية : مصري

المؤهل التعليمي : ليسانس آداب – قسم علم اجتماع – جامعة

الإسكندرية – مايو ٢٠٠٢

الحالة الإجتماعية : متزوج و أب لطفلين.

تاريخ الميلاد: ١٩٨٠/٥/٨

الوظيفة : مدرس حاسب آلى بمدرسة دوفر الدولية الأمريكية للمرحلة  
الثانوية.

محل الميلاد : الرياض – السعودية.

من محافظة الإسكندرية.

يسكن حالياً بمحافظه القاهرة - مدينة نصر.

البريد الإلكتروني: herufmansoura2011@gmail.com



## فعاليات ثقافية و فنية :

- مؤسس موقع دار حروف منشورة للنشر الإلكتروني : تأسست الدار فى مايو ٢٠١٣ و هى مستمرة حتى الآن.
- مؤسس جائزة منف للرواية العربية الإلكترونية ، انطلقت دورتها الأولى فى العام الماضى ٢٠١٧ وبدأت فعاليات الدورة الثانية من الجائزة فى يوليو من العام ٢٠١٨.
- نظم ثلاث دورات من معرض الكتاب الإلكتروني العربى بمشاركة ثلاثة عشر دار نشر إلكترونية وهو صاحب فكرة معرض الكتاب الإلكتروني والمنسق العام له.
- شارك بفاعلية فى مختلف الندوات الأدبية بمختلف قصور الثقافة الجماهيرية بجمهورية مصر العربية بمحافظة الإسكندرية من العام ١٩٩٩ حتى العام ٢٠٠٤

• شارك فى ندوة قصصية بمعرض الإسكندرية الدولي للكتاب فى

العام ٢٠٠٤

• شارك فى معرض الرواد للفن التشكيلي بمركز الإسكندرية

للإبداع فى العام ٢٠٠٤

• رسام رسوم أطفال.

لقاءات تليفزيونية وإذاعية وصحفية:

• عدة مداخلات على البرنامج الثقافي العام الإذاعي حول النشر

الإلكتروني ومسابقة دار حروف منثورة الأدبية السنوية.

• لقاء مع قناة النيل الثقافية حول النشر الإلكتروني وجائزة منف

للرواية العربية الإلكترونية.

• لقاء مع قناة الميادين وقناة دبي حول جائزة منف مع الكاتب.

• عدة حوارات صحفية حول النشر الإلكتروني وأعمال الكاتب في

مواقع إلكترونية مختلفة.

## مؤلفات صدرت للمؤلف:

- رواية ثلاث مرات.
- رواية شارع الست نخلات.
- مجموعة قصصية حكايات لمن يكرهون النوم.
- مجموعة قصصية وش.
- كتاب كلام عن الأدب.
- نص أدبي مدينة لا تفضلها الملائكة.
- رواية التربة الحمراء.
- خواطر نثرية: إني آنست جنائي.

لتقييم العمل على الجودريز، [أضغط هنا](#)





# إِنِّي

سَأَشْرِبُ قَهْوَتِي كُلَّ صَبَاحٍ وَأَدْخُنُ  
سِجَارَتِي بِبُطْءٍ شَدِيدٍ، سَأُقِفُ فِي شُرْفَتِي،  
أُطَالِعُ وُجُوهَ الْمَارَّةِ وَتَضَرِّبُ مَخِيلَتِي صَوْرَ  
لَكَ كَرَّصَاصَاتٍ سَرِيعَةٍ الطَّلَقَاتِ، ثُمَّ  
سَتَصَفِدُ إِلَى أَعْلَى كَوْرِيَقَاتٍ مُحْتَرِقَةٍ  
بِأُطْرَافٍ مُتَوَلِّجَةٍ سُرْعَانَ مَا سَتَخْبُو.